الكتاب الجامع للفضائل

(٧)

فضـــل الإيمـــان

للشيخ/ندا أبو أحمد

فضـــل الإيمـــان

تمهيد

إن الحمد لله تعالى نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله تعالى من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، مَن يهد الله فلا مضل له ومَن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . .

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾ (النساء: ١)

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا ﴾ (الأحزاب: ٧٠-٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله – تعالى– وخير الهدي هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

نبض الرسالة

معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان:

الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه:

أسباب زيادة الإيمان:

أسباب نقص الإيمان:

فضل الإيمان وأهله

أولا: فضل الإيمان

١- الإيمان بالله تعالى أفضل الأعمال:

٢- ضياع الإيمان سبب لحبوط الأعمال:

٣- الإيمان منة ونعمة من الله تعالى على عباده:

٤- الإيمان أمرنا الله -عز وجل- به وأثنى على أهله:

٥- مدح الله- تعالى- من توسل إليه بالإيمان:

٦- الإيمان كالشجرة الطيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء:

٧- الإيمان يحقق السكينة للنفس وطمأنينة للقلب:

٨- الإيمان ينفع أصحابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم:

٩- الإيمان يثمر محبة الله للعبد ومحبة المؤمنين:

١٠- الإيمان يثمر العلم النافع:

١١- الإيمان له حلاوة ولذة لا يعرفها إلا أهل الإيمان:

١٢- الإيمان ملجأ المؤمنين في السراء والضراء والمنشط والمكره:

١٣- الإيمان رباط قوي، يربط المؤمنين بعضهم ببعض:

١٤- الإيمان يحفظ صاحبه من الوقوع في الفواحش والموبقات:

١٥- الإيمان سبب لنجاة أهله من كرب الدنيا والآخرة:

١٦- الإيمان يمنع من دخول النار، أو عدم الخلود لمن دخلها بذنبه:

ثانيا: فضل أهل الإيمان

١- أهل الإيمان يحيون حياة طيبة:

٢- أهل الإيمان هم أفضل الناس عند الرحمن:

٣- أهل الإيمان أعزهم الله تعالى في الدنيا والآخرة:

٤- أهل الإيمان لهم الهدى التام والفلاح الكامل:

٥- أهل الإيمان لهم الأمن التام في الدنيا والآخرة:

٦- أهل الإيمان يتولاهم الله عز وجل وكفي بهذا شرفا:

٧- أهل الإيمان دائما على خير:

٨- أهل الإيمان في معية الرحمن:

٩- أهل الإيمان يؤيدهم الله وينصرهم على أعدائهم:

١٠- أهل الإيمان يدافع الله عنهم:

١١- أهل الإيمان يهديهم ربهم إلى صراطه المستقيم:

١٢- أهل الإيمان هم أهل الفلاح:

١٣- أهل الإيمان تستغفر لهم ملائكة الرحمن:

١٤- أهل الإيمان يستغفر لهم الأنبياء والمرسلين:

١٥- أهل الإيمان يبارك الله لهم في سعيهم ولا يضيع عليهم أجرهم:

١٦- أهل الإيمان أولى الناس بإبراهيم وبمحمد عليهما الصلاة والسلام:

١٧- أهل الإيمان وعدهم الله أجراً عظيماً وفضلًا كبيراً:

١٨- أهل الإيمان وعدهم الله تعالى بالإستخلاف في الأرض:

١٩- أهل الإيمان يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

٢٠- أهل الإيمان آمنون على أموالهم وأنفسهم:

٢١- أهل الإيمان يأمنهم الناس على أموالهم وأنفسهم:

٢٢- أهل الإيمان لا يتسلط عليهم الشيطان:

٢٣- أهل الإيمان لا يتسلط عليهم الأعداء:

٢٤- أهل الإيمان هم أبعد الناس عن الريب والشك:

٢٥- أهل الإيمان أبعد الناس عن الفحش والبذاءة والطعن واللعن:

٢٦- أهل الإيمان هم الذين ينتفعون بالمواعظ والتذكير بالآيات:

٢٧- أهل الإيمان يبتليهم الله بالمصائب ليطهرهم من المعايب:

٢٨- أهل الإيمان يشكرون في حال السراء، ويصبرون في حال الضراء:

٢٩- أهل الإيمان هم أولياء الرحمن يخرجهم من الظلمات الى النور:

٣٠- أهل الإيمان يفرحون بالطاعة ويحزنون ويتألمون لفعل المعصية:

٣١- أهل الإيمان يثبتهم الله على الحق في الدنيا والآخرة:

٣٢- أهل الإيمان لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة:

٣٣- أهل الإيمان يعطهم الرحمن نورا يمشون به في حياتهم وينفعهم بعد مماتهم:

٣٤- أهل الإيمان يشفعون في أصحابهم الذين يدخلون النار حتى يخرجوهم منها:

٣٥- أهل الإيمان يرفعهم الله تعالى فوق الناس درجات في الدنيا والآخرة:

فضـــــل الإيمـــــان[1]

مقدمة:

الأرض إذا كانت طيبة، والبذرة صالحة، وتم تعهد الزرع من خدمة وري وحفظ من الآفات نما الزرع وكمل، وأخرج الثمرات اليانعة بإذن ربه، وليست هناك أرض أطيب من قلب المؤمن، وليس هناك بذرة أطيب من كلمة التوحيد، فإذا تم التعهد بالعلم النافع والعمل الصالح أينعت البذرة، فخرجت أصولها وجذورها ممتدة في أرض قلب المؤمن، وجذور هذه الشجرة هي أصول الإيمان الستة:

(الإيمان بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، واليوم الآخر، والقدر خيره وشره)

وساق الشجرة المباركة الإخلاص والمتابعة، حتى تكون الشجرة أطيب شجرة، وحتى تكون الثمار أطيب الثمار وألذها، فما يزال العبد المؤمن المتبع للسنة يغذي إيمانه، ويزداد يقينه، فتزداد الشجرة رسوخا في قلبه فلا تزحزحها رياح الشبهات والشهوات، وتخرج ساقها تسر الناظرين عالية في السماء، وارفة الظلال، طيبة الثمار، ومن بركة الشجرة أنها تثمر كل حين بإذن ربها، فأشجار الدنيا يظل أصحابها يخدمونها ويتعهدونها طوال العام حتى تثمر مرة واحدة، ولكن هذه الشجرة المباركة تثمر الثمرات الكثيرة المتنوعة كل حين، فلا يكاد يمضي على المؤمن زمن قليل حتى يجني ثمرة من ثمرات الإيمان، وتبلغ الثمرة كمالها ونضجها، إذا كان الله ورسوله أحب اليه مما سواهما، وصار العبد يحب لله ويبغض لله، وصار يكره العودة الي الكفر كما يكره أن يقذف في النار، ولا يذوق طعم الثمرة إلا من رضي بالله رباً وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبياً ورسولاً.

وإذا فقد العبد حلاوة الإيمان بعد أن تذوقها لا تعوضه جميع لذات الدنيا وشهواتها، ومن ذاق عرف ومن حُرِمَ انحرف.

نسأل الله تعالى أن يرزقنا حلاوة الإيمان وأن يتوفانا مؤمنين ويلحقنا بالصالحين

غير خزايا ولا مفرطين.

[1]- استفدت كثيرا من كتاب شجرة الإيمان للشيخ الدكتور/ أحمد فريد - حفظه الله -، **وكتاب**" التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ العلامة /**عبد الرحمن بن ناصر السعدي**- رحمه الله -، **وكتاب**" فيض الرحمن في شرح حديث حلاوة الإيمان للشيخ /السيد دياب - حفظه الله -.

معتقد أهل السنة والجماعة في الإيمان[1]

الإيمان في اللغة: هو التصديق والإقرار.

وفي الشرع: ذهب جمهور العلماء كمالك والشافعي وإسحاق بن راهوية وأحمد وسائر أهل الحديث وأهل الظاهر وجماعة من المتكلمين الى أن الإيمان:

تصديق بالجنان، واقرار باللسان[2]، وعمل بالأركان[3]. **(العقيدة الطحاوية لابن أبي العز الحنفي)**

قال الحسن البصري-رحمه الله-: ليس الإيمان بالتحلي ولا بالتمني ولكنه ما وقر في الصدر وصدقته الأعمال. (أخرجه ابن أبي شيبه في مصنفه:٦/ ١٦٣)

وأهل السنة والجماعة يعتقدون في الإيمان أنه يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي، بل إيمان الشخص ذاته متفاوت من حين إلى آخر.

الأدلة على زيادة الإيمان ونقصانه:

أولا: الأدلة من القران:

قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ (الانفال:٢)

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة:١٢٤-١٢٥)

قال الحافظ ابن كثير-رحمه الله-:

وقوله: ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا﴾ (الانفال:٢)، **كقوله تعالى:** ﴿وَإِذَا مَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ (التوبة: ١٢٤).

وقد استدل البخاري وغيره من الأئمة بهذه الآية وأشباهها على زيادة الإيمان وتفاضله في القلوب، كما هو مذهب جمهور الأئمة. بل قد حكي الإجماع عليه غير واحد من الأئمة كالشافعي وأحمد بن حنبل وأبي عبيد.

(نقلا من كتاب "صحيح تفسير ابن كثير"للعدوي:٢/٢١٤)

وقوله تعالى: ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران:١٧٣)

وقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا﴾ (الفتح: ٤).

---

[1]- فيض الرحمن في شرح حديث حلاوة الإيمان للشيخ/السيد دياب حفظه الله.

[2]- ودليل ذلك قوله تعالى ﴿مِنَ الَّذِينَ قَالُوا آمَنَّا بِأَفْوَاهِهِمْ وَلَمْ تُؤْمِن قُلُوبُهُمْ....﴾ **(المائدة: ٤١)**

[3]- ودليل ذلك قوله تعالى (.. وما كان الله ليضيع إيمانكم..) **(البقرة:١٤٣)**: **أي صلاتكم**. كما فسر هذا ابن عباس -رضي الله عنهما- **وقتادة** (انظر تفسير الطبري: ١٧/٢٠)

ثانيا: الأدلة من السنة

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" من رأي منكم منكراً فليغيره بيده فإن لم يستطع فبلسانه فإن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان "

قال الإمام النووي- رحمه الله- في شرحه على مسلم:١/ ٣٠ وقوله ﷺ: **" وذلك أضعف الإيمان"** معناه والله أعلم: أقله ثمرة.

وأخرج البخاري ومسلم عن عبد الله ابن عمر- رضي الله عنهما- عن رسول الله ﷺ: أنه قال:

" يا معشر النساء تصدقن وأكثرن الاستغفار فإني رأيتكن أكثر أهل النار، فقالت امرأة منهم جزلةٌ وما لنا يا رسول الله أكثر أهلِ النارِ؟ قال: تكثرن اللعنة وتكفرن العشير وما رأيت من ناقصاتِ عقلٍ ودينٍ أغلب لذي لُبٍ منكُنْ قالت: يا رسول الله وما نقصان العقل والدين؟ قال: " أما نقصان العقل: فشهادة امرأتين تعدل شهادة رجل، وتمكث الليالي لا تصلي وتفطر في رمضان فهذا نقصان الدين".

فدل هذا الحديث على أن الإيمان يزيد بالطاعات وينقص بالمعاصي حيث بين النبي ﷺ أن نقصان الدين سببه ترك الصلاة والصيام.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن النبي ﷺ قال:

"يدخلُ أهلُ الجنةِ الجنةَ وأهلُ النارِ النارَ ثم يقول الله- تعالى-: أخرجوا من النار من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان، فيُخرجون منها قد اسودوا، فيلقون في نهر الحيا، أو الحياة -شك مالك- فينبتون كما تنبت الحبه في جانب السيل، ألم تر أنها تخرج صفراء ملتويه".

وأخرج الإمام مسلم عَنْ حَنْظَلَةَ الأسدي ﷺ قَالَ:

" وَكَانَ مِنْ كُتَّابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ :لَقِيَنِي أبو بَكْرٍ ﷺ ، فَقَالَ: كَيْفَ أَنْتَ؟ يَا حَنْظَلَةُ قَالَ :قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، قَالَ: سُبْحَانَ اللهِ مَا تَقُولُ؟ قَالَ :قُلْتُ: نَكُونُ عِنْدَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، يُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأَنا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، فَنَسِينَا كَثِيرًا، قَالَ أبو بَكْرٍ: فَوَاللهِ أنا لَنَلْقَى مِثْلَ هَذَا، فَانْطَلَقْتُ أنا وَأبو بَكْرٍ، حَتَّى دَخَلْنَا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ، قُلْتُ: نَافَقَ حَنْظَلَةُ، يَا رَسُولَ اللهِ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ "وَمَا ذَاكَ؟" قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ نَكُونُ عِنْدَكَ، تُذَكِّرُنَا بِالنَّارِ وَالْجَنَّةِ، حَتَّى كَأنا رَأْيُ عَيْنٍ، فَإِذا خَرَجْنَا مِنْ عِنْدِكَ، عَافَسْنَا الْأَزْوَاجَ وَالْأَوْلَادَ وَالضَّيْعَاتِ، نَسِينَا كَثِيرًا فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: " وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ إِنْ لَوْ تَدُومُونَ عَلَى مَا تَكُونُونَ عِنْدِي، وَفِي الذِّكْرِ، لَصَافَحَتْكُمُ الْمَلَائِكَةُ عَلَى فُرُشِكُمْ وَفِي طُرُقِكُمْ، وَلَكِنْ يَا حَنْظَلَةُ سَاعَةً وَسَاعَةً" ثَلَاثَ مَرَّاتٍ ".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"بينما أنا نائم رأيتُ الناس يعرَضون عليّ وعليهم قمص، منها ما يبلغ الثدي ومنها ما دون ذلك، وعرض عليّ عمر بن الخطاب وعليه قميص يجره" قالو: فما أولته يا رسول الله؟ قال: "الدين".

ثالثا: من آثار الصحابة ﷺ

وكلام الصحابة ﷺ في هذا المعني كثيرٌ أيضا.

- *عن أبي الدرداء ﷺ قال:* " من فقه العبد ان يتعاهد إيمانه وما نقص منه ومن فقه العبد أن يعلم أيزداد هو أم ينقص؟" (أخرجه اللالكائي في" شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)

- *وكان عمر ﷺ يقول لأصحابه:* " هلموا نزدد إيمانا. فيذكرون الله –عز وجل– ".

(أخرجه ابن أبي شعيبة في المصنف وأخرجه الأجري في الشريعة وقال الألباني فيه: رجاله ثقات ولكنه منقطع)

- *وكان ابن مسعود ﷺ يقول في دعائه:* " اللهم زدنا إيمانا ويقيناً وفقهاً"

(أخرجه في السنة عبد الله بن الإمام أحمد وقال ابن حجر– رحمه الله– في الفتح: اسناده صحيح)

- *وكان معاذ بن جبل ﷺ يقول لرجل:* " اجلس بنا نؤمن ساعة"

(أخرجه في السنة عبد الله بن الإمام أحمد وابن أبي شيبة في المصنف بسند صحيح:٦/ ١٦٤)

- *وصح عن عمار بن ياسر ﷺ أنه قال:*" ثلاث من كن فيه فقد استكمل الإيمان، إنصاف من نفسه، والإنفاق من إقتار، وبذل السلام للعالم" (أخرجه البخاري معلقا:١/١٨، والبيهقي في شعب الإيمان)

أسباب زيادة الإيمان ونقصانه:

بداية يجب على كل مسلم أن يتفقد حال الإيمان في قلبه كما كان الصحابة ﷺ يفعلون.

روى الحاكم في "المستدرك" بسند فيه مقال من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص- رضي الله عنهما- قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: **" إِنَّ الإيمان لَيَخْلَقُ فِي جَوْفِ أَحَدِكُمْ كَمَا يَخْلَقُ الثَّوْبُ فَاسْأَلُوا اللَّهَ تَعَالَى أَنْ يُجَدِّدَ الإيمان فِي قُلُوبِكُم ".**

أسباب زيادة الإيمان:

١- معرفة الله تعالى بأسمائه وصفاته، فإنه كلما ازداد الإنسان بمعرفة الله وأسمائه وصفاته؛ ازداد إيمانه.

٢- النظر في آيات الله الكونية والشرعية، **قال تعالى:** ﴿أَفَلَا يَنْظُرُونَ إِلَى الْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى السَّمَاءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى الْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ﴾ (الغاشية: ١٧-٢٠)

وقال تعالى: ﴿قُلِ انْظُرُوا مَاذَا فِي السماواتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُغْنِي الْآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ (يونس: ١٠١)

فكلما ازداد الإنسان علماً بما أودع الله تعالى في الكون من عجائب المخلوقات ومن الحكم البالغات؛ ازداد إيماناً بالله ﷻ، وكذلك النظر في آيات الله الشرعية، يزيد الإنسان إيمانا بالله عز وجل؛ لأنك إذا نظرت إلى الآيات الشرعية، وهي الأحكام التي جاء بها الرسل؛ وجدت فيها ما يبهر العقول من الحكم البالغة والأسرار العظيمة التي تعرف بها أن هذه الشريعة نزلت من عند الله، وأنها مبنية على العدل والرحمة، فتزداد بذلك إيمانا.

٣- كثرة الطاعات وإحسانها؛ لأن الأعمال داخلة في الإيمان، وإذا كانت داخلة فيه، لزم في ذلك أن يزيد بكثرتها.

٤- ترك المعصية تقرباً إلى الله ﷻ؛ فإن الإنسان يزداد بذلك إيمانا بالله عز وجل.

أسباب نقص الإيمان:

١- الإعراض عن معرفة الله تعالى وأسمائه وصفاته.

٢- الإعراض عن النظر في الآيات الكونية والشرعية؛ فإن هذا يوجب الغفلة وقسوة القلب.

٣- قلة العمل الصالح؛ ويدل لذلك قول النبي ﷺ في النساء: **"ما رأيت من ناقصات عقل ودين أغلب لذي لب من إحداكن". قالوا: يا رسول الله، كيف نقصان دينها؟ قال: "أليس إذا حاضت لم تُصل ولم تصم؟". "**
(رواه البخاري ومسلم)

٤- فعل المعاصي، **لقوله تعالى:** ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ (المطففين:١٤)

(نقلا من كتاب شرح العقيدة الواسطية" للعلامة ابن عثيمين)

فضل الإيمان وأهله

أولا: فضل الإيمان

١ - الإيمان بالله- تعالى- أفضل الأعمال:

فقد أخرج الإمام أحمد والطبراني في الكبير من حديث ماعز ﷺ:قال: قال رسول الله ﷺ:

" أفضل الأعمال الإيمان بالله وحده، ثم الجهاد، ثم حجة برة – وفي رواية: ثم حجة مبرورة – تفضل سائر الأعمال كما بين مطلع الشمس إلى مغربها". (صحيح الجامع: ١٠٩١، ١٠٩٢)

وأخرج ابن حبان من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أفضل العمل إيمان بالله وجهاد في سبيل الله". (الصحيحة:١٤٩٠) (صحيح الجامع: ١١٢٤)

وأخرج أبو يعلى عن رجل من خثعم قال: قال رسول الله ﷺ:

" أحب الأعمال إلي الله إيمان بالله ثم صلة الرحم ثم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وأبغض الأعمال إلى الله الإشراك بالله، ثم قطيعة الرحم". (صحيح الجامع:١٦٦)

وأخرج الإمام أحمد وابن حبان أن النبي ﷺ قال:

" أفضل الأعمال عند الله إيمان لا شك فيه، وغزو لا غلول فيه، وحج مبرور".

وأخرج الإمام مسلم عن أبي قتاده ﷺ أن رسول الله ﷺ أنه قام فيهم فذكر لهم أن الجهاد في سبيل الله والإيمان به أفضل الأعمال. فقام رجل فقال: يا رسول الله أرايت إن قتلت في سبيل الله تكفر عني خطاياي؟ فقال له رسول الله ﷺ "نعم إن قُتلتَ في سبيل الله وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر، "ثم قال رسول الله ﷺ "كيف قلت؟". قال: أرايت إن قتلت في سبيل الله أتكفر عني خطاياي؟ فقال رسول الله ﷺ:"نعم". وأنت صابر محتسب مقبل غير مدبر إلا الدَّين فإن جبريل –عليه السلام– قال لي ذلك".

فائدة: ليس هناك تعارض بين هذه الأحاديث السابقة والتي فيها أن الإيمان هو أفضل الأعمال وبين الأحاديث التي فيها أن الصلاة هي أفضل الأعمال. ***كما ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال:قال رسول الله ﷺ:*** "أفضل الأعمال الصلاة لوقتها، وبر الوالدين، والجهاد في سبيل الله". ***وفي رواية عند أبي داود والترمذي من حديث أم فروة ﷺ عن النبي ﷺ قال:***

"أفضل الأعمال الصلاة في أول وقتها".

والجمع بينهما أن الإيمان بالله ﷻ هو أفضل أعمال القلب، وأن الصلاة هي من الإيمان أفضل أعمال الجوارح، والله أعلم.

٢- ضياع الإيمان سبب لحبوط الأعمال:

قال ﷻ لنبيه وحبيبه وخليله محمد ﷺ: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (الزمر٦٥:-٦٦).

ولا يتصور شرعا ولا عقلا أن يشرك النبي ﷺ فهو الذي جاء وأقام صرح التوحيد ودعا الناس إليه لكن هذا من تقدير المحال، وهو جائز في لغة العرب **كما قال تعالى:** ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ (الزخرف:٨١)، أو هو خطاب للنبي ﷺ والمقصود به الأمة.

وكأن الله ﷻ يقول لنا: هذا نبيي وحبيبي وخليلي لو أشرك لحُبط عمله، فكيف أنتم أيها الناس؟ وكذا قال الله تعالى في شأن الأنبياء الكرام -عليهم الصلاة والسلام-: ﴿وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحَبِطَ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الانعام:٨٨).

٣- الإيمان منة ونعمة من الله- تعالى- على عباده:

قال تعالى: ﴿يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾

(الحجرات: ١٧)

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره:" ٤/٢١٩":

"يمنون عليك أن أسلموا قل لا تمنوا على إسلامكم، يعني الأعراب الذين يمنون بإسلامهم ومتابعتهم ونصرتهم على الرسول ﷺ يقول الله ﷻ رداً عليهم ﴿قُلْ لَا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلَامَكُمْ﴾ فإن نفع ذلك إنما يعود عليكم ولله المنة عليكم فيه ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ أي في دعواكم ذلك ***كما قال النبي ﷺ للأنصار يوم حنين:*** **" يا معشر الأنصار ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله ﷻ بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وكنتم عالة فأغناكم الله بي؟" كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن".** أهـ

كما تمنن الله ﷻ على المؤمنين الصادقين أيضا أن حبب إليهم الإيمان وزينه في قلوبهم وكره إليهم الكفر والفسوق والعصيان . **قال تعالى:** ﴿وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ﴾ (الحجرات: ٧)

قال العلامة عبد الرحمن بن ناصر السعدي- رحمه الله- في هذه الآية:

فهذه أكبر المنن: أن يحبب الله الإيمان للعبد، ويزينه في قلبه، ويذيقه حلاوته، وتنقاد جوارحه للعمل بشرائع الإسلام، ويبغض إليه أصناف المحرمات، والله عليم بمن يستحق أن يتفضل عليه بهذا الفضل، حكيم في وضعه في محله اللائق به. أهـ (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان صـ٣٤)

وأخرج الإمام مسلم عن ابن عباس- رضي الله عنهما- قال: لما نزلت هذه الآية ﴿وَإِنْ تُبْدُوا مَا فِي أَنْفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُمْ بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَنْ يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ﴾ (البقرة:٢٨٤) **قال: دخل قلوبهم منها شيء لم يدخل قلوبهم من قبل. فقال النبي ﷺ: " قولوا سمعنا وأطعنا وسلمنا". قال: فألقى الله الإيمان في قلوبهم فأنزل الله تعالى:** ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ **قال: "قد فعلت"** ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ **قال: "قد فعلت"** ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا﴾ **قال: "قد فعلت".**

والشاهد من الحديث – والذي يدل على أن الإيمان منَّة من الله ﷻ – هو قوله ﷺ: **" فألقى الله الإيمان في قلوبهم".**

٤- *الإيمان أمرنا الله - عز وجل- به وأثنى على أهله:*

قال تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (البقرة: ١٣٦)

وأمر الله ﷻ المؤمنين بمزيد من الإيمان

فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا آمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي نَزَّلَ عَلَى رَسُولِهِ وَالْكِتَابِ الَّذِي أَنْزَلَ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ يَكْفُرْ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا بَعِيدًا﴾ (النساء: ١٣٦)

كما أثنى الله ﷻ على أصحاب محمد ﷺ إيمانهم بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله

فقال تعالى: ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ (البقرة: ٢٨٥)

٥- مدح الله- تعالى- من توسل إليه بالإيمان:

وقد مدح الله ﷻ المؤمنين الذين توسلوا إليه بالإيمان، وذلك تعظيماً لقدر الإيمان وتنويهاً بشرفه **فقال تعالى في وصف أولي الألباب:** ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَى جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السماوات وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ ﴿١٩١﴾ رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ ﴿١٩٢﴾ رَبَّنَا إِنَّنَا سَمِعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ آمِنُوا بِرَبِّكُمْ فَآمَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١٩٣﴾ رَبَّنَا وَآتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ (آل عمران: ١٩١-١٩٤)

فأثنى الله ﷻ عليهم بذلك وأخبر أنه عز وجل قد استجاب لهم، وفي هذه الآيات الكريمات مشروعية التوسل بالإيمان والعمل الصالح، ودل على ذلك كذلك حديث الثلاثة الذين كانوا في الغار وسقطت صخرة عظيمة فسدت عليهم فوهة الغار فتوسلوا بالأعمال الصالحة ففرج الله ﷻ عنهم.

(الحديث في الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما-)

يقول ابن القيم- رحمه الله- في" زاد المعاد:٣/٧٥ " في الآية السابقة:

" لقد حرك الداعي إلى الله وإلى دار السلام النفوس الأبية والهمم العالية، وأسمع منادي الإيمان من كانت له أذن واعية، وأسمع الله من كان حيا فهزه السماع إلى منازل الأبرار، وحدا به في طريق سيره، فما حطت به رحاله إلا بدار القرار". أ هـ.

٦- الإيمان كالشجرة الطيبة أصلها ثابت في الأرض وفرعها في السماء:

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ (إبراهيم: ٢٤- ٢٥)

ذكر ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره:"٢/٥٣١" عند هذه الآية قول ابن عباس - رضي الله عنهما -:

أن قوله تعالى ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا كَلِمَةً طَيِّبَةً﴾ أي شهادة "أن لا إله إلا الله"، **وقوله** ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ﴾ وهو المؤمن ﴿أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ بقول "لا إله إلا الله" في قلب المؤمن ﴿وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾ أي يرفع بها عمل المؤمن إلى السماء.

وهكذا قال الضحاك، وسعيد بن جبير، وعكرمة، ومجاهد وغير واحد. أهـ

ويقول العلامة السعدي- رحمه الله – في كتابه توضيح البيان لشجرة الإيمان صـ٢٦ :

فمثل الله كلمة الإيمان – التي هي أطيب الكلمات – بشجرة هي أطيب الأشجار موصوفة بهذه الأوصاف الحميدة: أصولها ثابتة مستقرة، ونماؤها مستمر، وثمراتها لا تزال كل الوقت وكل حين تغل على أهلها. وعلى غيرهم المنافع المتنوعة والثمرات النافعة. أ هـ

وقال القاسمي- رحمه الله- في كتابه "محاسن التأويل: ١٠/٢٧ ":

لاحظ في الممثل به – أعني الشجرة – أوصاف جليلة لتلحظ في جانب الممثل له. فمنها:

كونها طيبة أعم من طيب المنظر والصورة والشكل، ومن طيب الريح وطيب الثمرة وطيب المنفعة، وكون أصلها ثابتاً أي راسخا باقياً في أمن من الانقلاع والانقطاع والزوال والفناء ليعظم الفرح به والسرور، وكون فرعها في السماء، فدل على كمال حال تلك الشجرة من جهة ارتفاع أغصانها وقوتها في التصاعد مما يبرهن على ثبات الأصل ورسوخ العروق، وجهة بعدها عن العفونات والأقذار، فتكون ثمرتها نقية طاهرة طيبة عن جميع الشوائب، وكون ثمرتها تجني كل حين فلا تنقطع بركاتها وخيراتها، ولا ريب أن وجود هذه الأوصاف مما يدل على فخامة الموصوف وإنافة فضله، ولا تخفي مطابقة هذا الممثل به للممثل له. أ هـ

ولا شك أن هذا مثل لكمال الإيمان في قلب المؤمن وكلما كانت الأرض طيبة وتعهد العبد الشجرة بالخدمة والري، كلما ضربت جذورها في أعماق الأرض وسمقت بفرعها في السماء وأثمرت الثمرات الطيبة كل حين بإذن ربها وكذلك الإيمان.

كلما ازداد إيمان العبد ويقينه بالله عز وجل وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر والقدر خيره وشره كلما وفق للأعمال الصالحة الزكية والأحوال الإيمانية المَرْضية ولا شك أن الذي يذوق حلاوة الإيمان من أينعت شجرته وازداد حبه لله ﷻ ولرسوله ﷺ وللمؤمنين، فليس كل أحد يجد طعم الإيمان ويذوق حلاوته.

فائدة:

شجرة الإيمان تحتاج إلى تعاهد وسقي:

يقول ابن القيم في" أعلام الموقعين "١/١٧٤":

"ومنها أن الشجرة لا تبقى حية إلا بمادة تسقيها وتنميها، فإذا قطع عنها السقي أوشك أن تيبس، فهكذا شجرة الإسلام في القلب إن لم يتعهدها صاحبها بسقيها كل وقت بالعلم النافع والعمل الصالح والعود بالتذكر على التفكر، والتفكر على التذكر وإلا أوشك أن تيبس، ***وفي مسند الإمام أحمد من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:*** " **إن الإيمان يخلق في القلب كما يخلق الثوب فجددوا إيمانكم**". وبالجملة فالغرس إن لم يتعهده صاحبه أوشك أن يهلك ومن هنا تعلم شدة حاجة العباد إلى ما أمر الله به من العبادات على تعاقب الأوقات وعظيم رحمته وتمام نعمته وإحسانه إلى عباده بأن وظفها عليها وجعلها مادة لسقي غراس التوحيد الذي غرسه في قلوبهم.

ومنها أن الغرس والزرع النافع قد أجرى الله سبحانه العادة أنه لابد أن يخالطه دغل ونبت غريب ليس من جنسه فإن تعاهده صاحبه ونقاه وقلعه، كمل الغرس والزرع، واستوى وتم نباته، وكان أوفر لثمرته وأطيب وأزكى وإن تركه أوشك أن يغلب على الغرس والزرع ويكون الحكم له، أو يضعف الأصل، ويجعل الثمرة ذميمة ناقصة بحسب كثرته وقلته، ومن لم يكن له فقه نفس في هذا ومعرفة به فإنه يفوته ربح كثير وهو لا يشعر فالمؤمن دائما سعيه في شيئين سقي هذه الشجرة، وتنقية ما حولها فبسقيها تبقى وتدوم وبتنقية ما حولها تكمل وتتم والله المستعان وعليه التكلان". أهـ

٧- الإيمان يحقق السكينة للنفس وطمأنينة للقلب:

قال تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ السَّكِينَةَ فِي قُلُوبِ الْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوا إِيمَانًا مَعَ إِيمَانِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ السماوات وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عليمًا حَكِيمًا ﴾ (الفتح:٤)

وقال تعالى: ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨)

فالسعادة في سكينة النفس وطمأنينة القلب وليست كما يظن البعض أنها في كثرة المال أو الشهرة والجاه وخير شاهد على هذا أن سكان دول أوروبا يكثر فيهم الانتحار ...

يقول الدكتور محمد عيد الشرقاوي- حفظه الله- في كتابه" الإيمان والحياة صـ ٢٨":

"لقد عرفنا أن أكثر الناس قلقا وضيقا واضطراباً وشعوراً بالتفاهة والضياع هم المحرومون من نعمة الإيمان وبرد اليقين أن حياتهم لا طعم لها ولا مذاق وإن حفلت باللذائذ والمرفهات أنهم لا يدركون لحياتهم معني ولا يعرفون لها هدفا ولا يفقهون لها سرا" اهـ

فمن أراد أن يحقق السعادة والسكينة بغير الإيمان بالله كان كالظمآن يجري وراء السراب ولن يتحقق له إلا التيه.

يقول ابن القيم-رحمه الله-: في القلب شعث لا يلمه إلا الإقبال على الله وفيه وحشة لا يزيلها إلا الإنس بالله.

٨- الإيمان ينفع أصحابه يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم

فقد أخرج البخاري ومسلم من حديث أبي ذر ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ يوماً:

" أتدرون أين تذهب هذه الشمس؟" قالوا: الله ورسوله اعلم. قال" إن هذه تجري حتى تنتهيَ إلى مستقرها تحت العرش فتخر ساجدة فلا تزال كذلك حتى يُقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئتِ، فترجع فتصبح طالعةً من مطلعها ثم تجري حتى تنتهيَ إلى مستقرها تحتَ العرشِ فتخرَّ ساجدةً، ولا تزال كذلك حتى يُقال لها: ارتفعي ارجعي من حيث جئتِ، فترجع فتصبح طالعه من مطلعها، ثم تجري لا يَستنكر الناسُ منها شيئا حتى تنتهي الي مستقرها ذاك تحت العرش. فيقال لها: ارتفعي، اصبحي طالعة من مغربك فتصبح طالعه من مغربها. فقال رسول الله ﷺ:" اتدرون متي ذاكم؟!! ذاك حين لا ينفع نفس إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في إيمانها خيرا".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" ثلاث إذا خرجن لا ينفع نفساً إيمانها لم تكن آمنت من قبل أو كسبت في ايمانها خيرا: طلوع الشمس من مغربها، والدجال، ودابَّة الارض".

٩- الإيمان يثمر محبة الله للعبد ومحبة المؤمنين:

ومن أحبه الله وأحبه المؤمنون حصلت له سعادة الدنيا والآخرة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا﴾ (مريم:٩٦)

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره:٣/١٣٩ في الآية السابقة:

يخبر ﷻ أنه يغرس لعباده المؤمنين الذين يعملون الصالحات وهي الأعمال التي ترضي الله ﷻ لمتابعتها الشريعة المحمدية يغرس لهم في قلوب عباده محبة ومودة وذلك أمر لابد منه ولا محيد عنه.

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ انه قال:

" إذا أحب الله العبد قال لجبريل: قد أحببت فلاناً فأحبه، فيحبه جبريل ﷺ ثم ينادي في أهل السماء: إن الله قد أحب فلاناً فأحبوه فيحبه أهل السماء ثم يوضع له القبول فالأرض"

وأخرج الإمام مسلم عن علّي بن أبي طالب ﷺ قال: **" والذي فلق الحبة وبرأ النسمة أنه لعهد النبي الأمي ﷺ إلي "أنه لا يحبني إلا مؤمن، ولا يبغضني إلا منافق".**

١٠- الإيمان يثمر العلم النافع:

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفَاسِقِينَ﴾ (البقرة: ٢٦)

تنبيه: ثمرة العلم العمل به، ولا يقبل عمل بلا إيمان:

قال رجل للشافعي: أي الأعمال عند الله أفضل؟ قال: ما لا يقبل العمل إلا به، قال: وما ذاك؟ قال: الإيمان بالله هو أعلى الأعمال درجة، وأشرفها حظا"[1]

ودليل هذا قوله تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٤)

قال السمعاني- رحمه الله- في" تفسيره:٢/٤٠٨": ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: يتقبل عمله.

وقال القرطبي- رحمه الله- في" تفسيره:١١/٣٣٩": ﴿فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ﴾ أي: لا جحود لعمله، أي: لا يضيع جزاؤه ... ﴿وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ لعمله حافظون، نظيره ﴿أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَى﴾ (آل عمران: ١٩٥)

[1]- ذكره ابن القيم في حاشيته على سنن أبي داود:١٢/٢٩٣.

١١ - الإيمان له حلاوة ولذة لا يعرفها إلا أهل الإيمان:

أخرج البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان، باب" حلاوة الإيمان:١/١٤" عن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا الله، وأن يكره أن يعود في الكفر كما يكره أن يقذف في النار".**

قال النووي- رحمه الله- في شرح" صحيح مسلم:٢/١٣":

" قال العلماء – رحمهم الله –: معنى حلاوة الإيمان استلذاذ الطاعات، وتحمل المشقات في رضى الله ﷻ ورسوله ﷺ، وإيثار ذلك على عرض الدنيا" .

قال القاضي عياض- رحمه الله- في" إكمال المعلم:١/٢٠١":

"هذا الحديث بمعنى حديث **"ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربًا... ".**

وقال الحافظ- رحمه الله- في" الفتح:١/٦٠":

"وفي قوله **(حلاوة الإيمان)** استعارة تخييليه، شبه رغبة المؤمن في الإيمان بشيء حلو، وأثبت له لازم ذلك الشيء، وأضافه إليه، وفيه تلميح إلى قصة المريض والصحيح؛ لأن المريض الصفراوي يجد طعم العسل مرًا، والصحيح يذوق حلاوته على ماهي عليه، وكلما نقصت الصحة شيئا ما؛ نقص ذوقه بقدر ذلك" أهـ

أخرج الإمام مسلم من حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ أنه سمع رسول الله ﷺ يقول:

" ذاق طعم الإيمان من رضي الله ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ رسولا ".

قال النووي- رحمه الله- في شرحه على مسلم: "٢/٢" عن هذا الحديث: قال صاحب التحرير- رحمه الله-:

معنى رضيت بالشيء قنعت به واكتفيت به ولم أطلب معه غيره، فمعنى الحديث لم يطلب غير الله ﷻ ولم يسع في غير طريق الإسلام ولم يسلك إلا ما يوافق شريعة محمد ﷺ، ولا شك في أن من كانت هذه صفته فقد خلصت حلاوة الإيمان إلى قلبه وذاق طعمه.

وقال القاضي عياض- رحمه الله-: معنى الحديث:

صح إيمانه واطمأنت به نفسه وخامر باطنه لأنه رضاه بالمذكورات دليل لثبوت معرفته ونفاذ بصيرته وخالطة بشاشته قلبه، لأن من رضي أمراً سَهُل عليه، فكذا المؤمن إذا دخل قلبه الإيمان سهل عليه طاعات الله تعالى ولذت له والله أعلم. أهـ

١٢ - الإيمان ملجأ المؤمنين في السراء والضراء والمنشط والمكره:

فالمؤمنون يهرعون إلى الإيمان ويلجأون إليه في كل ما يعتريهم من خير وشر وطاعة ومعصية ويسر وعسر فإذا خوفوا من كيد أعدائهم لجأوا إلى إيمانهم واعتصموا به **كما قال تعالى** ﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾ (آل عمران: ١٧٣)

وقال تعالى: ﴿لَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَانًا وَتَسْلِيمًا﴾ (الأحزاب: ٢٢)

وإذا فعلوا طاعة لجأوا إلى الإيمان، فعلموا أن الله عز وجل هو الذي وفقهم إليها وأعانهم عليها:

إذا لم يكن من الله عون للفتى فأول ما يجني عليه اجتهاده

وإذا وقعوا في معصية لجأوا الى الإيمان فعلموا بمقتضى إيمانهم أنهم وقعوا فيما يسخط الله عز وجل وأن عليهم أن يبادروا بالتوبة وأن يكثروا من الحسنات الماحية التي تنجيهم من عقاب الله عز وجل.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا إِذَا مَسَّهُمْ طَائِفٌ مِنَ الشَّيْطَانِ تَذَكَّرُوا فَإِذَا هُمْ مُبْصِرُونَ (٢٠١) وَإِخْوَانُهُمْ يَمُدُّونَهُمْ فِي الْغَيِّ ثُمَّ لَا يُقْصِرُونَ﴾ (الأعراف: ٢٠١-٢٠٢)

فأهل الإيمان يحدثون لكل ذنب توبة، وإخوان الشياطين يتبعون المعصية المعصية، فلا يتوبون إلى الله ولا يرجون إليه، بل يستمرون على المعصية نسأل الله العافية.

وإذا أنعم الله ﷻ عليهم بنعمة لجأوا إلى الإيمان فعرفوا قدر النعمة وعرفوا المنعم ﷻ، وقاموا بواجب الشكر لهذه النعمة، **قال تعالى:** ﴿يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُودَ شُكْرًا وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ﴾ (سبأ: ١٣)

وإذا نزلت بهم مصيبة لجأوا إلى الإيمان فعلموا أنها بقدر فسلموا لقدر الله ﷻ، وقاموا بواجب الصبر

قال الله تعالى: ﴿وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴿١٥٥﴾ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ ﴿١٥٦﴾ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾

(البقرة: ١٥٥-١٥٧)

١٣ - الإيمان رباط قوي، يربط المؤمنين بعضهم ببعض:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات: ١٠)

يقول القرطبي- رحمه الله-:

إنما المؤمنون إخوة في الدين والحرمة لا في النسب، ولهذا قيل: أخوة الدين أثبت من أخوة النسب، فأن أخوة النسب تنقطع بمخالفة الدين، وأخوة الدين لا تنقطع بمخالفة النسب.

ويقول الفخر الرازي- رحمه الله- عن نوح عليه السلام لما قال لربه ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي﴾ (هود: ٤٥) فقال الله تعالى له: ﴿يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ (هود: ٤٦) فبين أن قرابة النسب لا تفيد إذا لم تحصل قرابة الدين.

وقال العلامة السعدي- رحمه الله- في تفسيره (٥/٩٦):

عند قوله تعالى ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ هذا عقد عقده الله بين المؤمنين، أنه إذا وجد من أي شخص كان، في مشارق الأرض ومغاربها يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الأخر، فإنه أخ للمؤمنين أخوة توجب أن يحب له المؤمنون ما يحبون لأنفسهم، ويكرهون له ما يكرهون لأنفسهم. أهـ

وبين النبي ﷺ أثر الإيمان في تعميق صلة المؤمن بإخوانه المؤمنين ورعايته شؤونهم

فقد أخرج أبو داود في سننه بسند فيه مقال من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"المؤمن أخو المؤمن، يكف عليه ضيعته، ويحوطه من ورائه".

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري ﷺ عن رسول الله ﷺ أنه قال:

" المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وشبك بين أصابعه".

وأخرج الإمام مسلم عن النعمان بن بشير ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ **"ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم كمثل الجسد إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى".**

وفي لفظ **"المسلمون كرجل واحد، إن اشتكى يمينه اشتكى كله، وإذا اشتكى رأسه اشتكى كله".**

وأخرج الإمام أحمد عن سهل بن سعد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"إن المؤمن من أهل الإيمان بمنزلة الرأس من الجسد، يألم المؤمن لأهل الإيمان، كما يألم الجسد لما في الرأس".** (صححه الأرناؤوط -رحمه الله-)

١٤ - الإيمان يحفظ صاحبه من الوقوع في الفواحش والموبقات:

- فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشرب وهو مؤمن، ولا يسرق حين يسرق وهو مؤمن، ولا ينهب نهبة يرفع الناس إليه فيها أبصارهم حين ينتهبها وهو مؤمن[1] ".

فمن وقع في مثل هذه الأمور فهذا لضعف إيمانه وذهاب نوره، وزوال الحياء من الله، وهذا معروف مشاهد، والإيمان الصحيح الصادق، يصحبه الحياء من الله والحب له، والرجاء القوي لثوابه، والخوف من عقابه، ورغبته في اكتساب النور، وهذه الأمور تأمر صاحبها بكل خير وتزجره عن كل شر. فمن وقع في الفواحش والكبائر – والعياذ بالله– لابد أنه أوتي من قبل إيمانه، ولو كانت شجرة الإيمان ثابته في قلبه ورافة الظلال كثيرة الثمار لمنعته من الوقوع في هذه الفواحش فالمؤمن غير معصوم من المعاصي ولكنه قد يقارف الصغائر ثم يتوب إلى الله ولا يستمر على معصيته ويحول الإيمان بينه وبين الكبائر **قال تعالى:** ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَى بُرْهَانَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ (يوسف: ٢٤)

فالله عز وجل يحول بين المؤمن وبين المعصية ومن أعظم الأسباب لذلك، الإخلاص لدين الله عز وجل فمن علم الله عز وجل منه الإخلاص حفظه من المعاصي والشرور التي توجب دخول النار، كما أن من أعرض عن الإيمان حال الله عز وجل بينه وبينه إذا أراده بعد ذلك عقوبة له على إعراضه **كما قال تعالى:** ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْئِدَتَهُمْ وَأَبْصَارَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَنَذَرُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ (الأنعام: ١١٠)

وحذرنا الله عز وجل من عدم الاستجابة لله عز وجل وللرسول ﷺ خشية أن يحال بعد ذلك بين العبد وبين إرادة الهداية **فقال تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ﴾ (الإنفال: ٢٤)

[1]- **قال النووي** -رحمه الله- في شرحه **على مسلم** (٤١/٢) هذا الحديث مما أختلف العلماء في معناه فالقول الصحيح الذي قاله المحققون أن معناه لا يفعل هذه المعاصي وهو كامل الإيمان وهذا من الألفاظ التي تطلق على نفس الشيء ويراد نفي كماله ومختاره كما يقال: لا علم إلا ما نفع ولا مال إلا الإبل ولا عيش إلا **عيش الآخرة**.

١٥ - الإيمان سبب لنجاة أهله من كرب الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِبًا فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عليه فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٧٧﴾ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنبياء ٧٧-٨٨)

فبعد أن ذكر الله عز وجل إنجاءه ليونس عليه السلام من الكرب والغم أخبر أن هذه عادته عز وجل مع أوليائه المؤمنين، وليس معاملة خاصة لنبيه الكريم.

وقال تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى فَأَخَذَتْهُمْ صَاعِقَةُ الْعَذَابِ الْهُونِ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ (١٧) وَنَجَّيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (فصلت: ١٧-١٨)

وقال تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا هُودًا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ (هود: ٥٨)

وقال تعالى: ﴿وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (النمل: ٥٣)

وقال تعالى: ﴿ثُمَّ نُنَجِّي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا كَذَلِكَ حَقًّا عَلَيْنَا نُنْجِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ١٠٣)

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره: ١/٣٧٥":

ينجيهم من مكاره الدنيا والآخرة وشدائدهما. أهـ

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنْجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾ (الأعراف: ١٦٥)

والنهي عن المنكر من الإيمان ***كما قال الحبيب العدنان*** ﷺ: **"ومن لم يستطع فبقلبه وذلك أضعف الإيمان"** (رواه الإمام مسلم)

وأما عن نجاة المؤمنين في الآخرة فظاهر لا يحتاج إلى دليل **ويشير اليه قوله عز وجل:** ﴿وَيُنَجِّي اللَّهُ الَّذِينَ اتَّقَوا بِمَفَازَتِهِمْ لَا يَمَسُّهُمُ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الزمر: ٦١)

١٦ - الإيمان يمنع من دخول النار، أو عدم الخلود لمن دخلها بذنبه:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن عتبان بن مالك ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله حرم على النار من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-:

وأكثر من يقولها تقليداً وعادة ولم تخالط حلاوة الإيمان بشاشة قلبه، وغالب من يفتن عند الموت وفي القبور أصحاب المعاصي وغالب أعمال هؤلاء إنما هو تقليد واقتداء وهم من أقرب الناس من **قوله تعالى:** ﴿كَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِمْ مُقْتَدُونَ﴾ (الزخرف:٢٣)

وحينئذ لا منافاة بين الأحاديث فإنه إن قالها بإخلاص ويقين تام لم يكن في هذه الحال مصراً على ذنب أصلاً، فإن كمال إخلاصه ويقينه يوجب أن يكون الله ﷻ أحبَّ اليه من كل شيء، فإذاً لا يبقي في قلبه إرادةٌ لما حرم الله، ولا كراهةٌ لما أمر الله، وهذا هو الذي يحرم على النار وان كانت له ذنوب قبل ذلك فإن هذا الإيمان وهذا الإخلاص وهذه التوبة وهذه المحبة وهذا اليقين لا تترك له ذنباً إلا محي كما يمحو الليل النهار فإن قالها على وجه الكمال المانع من الشرك الأكبر والأصغر فهذا غير مصر على ذنب أصلاً، ولم يأت بعدها بما يناقض ذلك فهذه الحسنة لا يقاومها شيء من السيئات فيرجح لها ميزان الحسنات كما في حديث البطاقة فيحرم على النار ولكن تنقص درجته في الجنة بقدر ذنوبه، وهذا من رجحت سيئاته بحسناته ومات مصراً على ذلك فإنه يستوجب النار". اهـ

فمن رجحت سيئاته بحسناته وهو من أهل الإيمان فإنه في مشيئة الملك الديان، إن شاء غفر له، وإن شاء عذبه، وإن عذبه فإنه يدخل النار عقوبة له، ثم يخرج منها برحمة أرحم الراحمين، ثم بشفاعة الشافعين، ولا يخلد في النار أحد من أهل الإيمان.

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ (النساء:٤٠)

وقد أخرج البخاري ومسلم عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ ، أَنّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قَالَ

يُدْخِلُ اللَّهُ أَهْلَ الْجَنَّةِ الْجَنَّةَ يُدْخِلُ مَنْ يَشَاءُ بِرَحْمَتِهِ، وَيُدْخِلُ أَهْلَ النَّارِ النَّارَ، ثُمَّ يَقُولُ :انْظُرُوا مَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ إِيمَانٍ فَأَخرجوهُ، فَيَخْرُجُونَ مِنْهَا حُمَمًا[١] قَدِ امْتُحِشُوا[٢]، فَيُلْقَوْنَ فِي نَهْرِ الْحَيَاةِ، أو نَهرِ الْحَيَا، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ إِلَى جَانِبِ السَّيْلِ، قَالَ عليه السَّلامُ: أَلَمْ تَرَوْهَا كَيْفَ تَخْرُجُ صَفْرَاءَ مُلْتَوِيَةً".

١- حُمَمًا: فحماً

٢- امْتُحِشُوا: أي احترقوا، من المحش، بمعنى احتراق الجلد وظهور العظم. (النهاية:٣٠٢/٤)

وأخرج الإمام مسلم في صحيحه من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسوت الله ﷺ :

لا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ، ولا يدخل النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان فَقَالَ رَجُلٌ: إِنَّه يعجبني أَنْ يَكُونَ ثَوْبِي حَسَنًا، وَنَعْلِي حَسَنَةً، قَالَ: "إِنَّ اللَّهَ جَمِيلٌ يُحِبُّ الْجَمَالَ، الْكِبْرُ بَطَرُ الْحَقِّ[1]، وَغَمْطُ النَّاسِ[2] ".

وأخرج مسلم في صحيحه، من حديث أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال:

" وَالَّذِي نَفْسُ مُحَمَّدٍ بِيَدِهِ، لاَ يَسْمَعُ بِي أحد من هذه الأمة لا يَهُودِيٌّ، وَلاَ نَصْرَانِيٌّ، ثُمَّ يَمُوتُ وَلَمْ يُؤْمِنْ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلاَّ كانَ مِنْ أَصْحَابِ النار".

ومفهوم المخالفة لهذا الحديث أن مَنْ آمن مِنْ هؤلاء لم تطعمه النار

وأخرج الإمام أحمد عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ يَقُولُ :

" إِنِّي لَأَوَّلُ النَّاسِ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْ جُمْجُمَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأُعْطَى لِوَاءَ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنا سَيِّدُ النَّاسِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَأَنا أول مَنْ يَدْخُلُ الْجَنَّةَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَآتِي بَابَ الْجَنَّةِ فَآخُذُ بِحَلْقَتِهَا فَيَقُولُونَ: مَنْ هَذَا ؟، فَأَقُولُ أنا مُحَمَّدٌ، فَيَفْتَحُونَ لِي فَأَدْخُلُ فَأَجِدُ الْجَبَّارَ مُسْتَقْبِلِي، فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَتَكَلَّمْ، يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ، يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي، فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ شَعِيرٍ مِنْ الإيمان، فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَأَذْهَبُ، فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلْتُهُمْ الْجَنَّةَ، فَأَجِدُ الْجَبَّارَ مُسْتَقْبِلِي فَأَسْجُدُ لَهُ، فَيَقُولُ: ارْفَعْ رَأْسَكَ يَا مُحَمَّدُ وَتَكَلَّمْ، يُسْمَعْ مِنْكَ، وَقُلْ: يُقْبَلْ مِنْكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، فَأَرْفَعُ رَأْسِي فَأَقُولُ: أُمَّتِي أُمَّتِي يَا رَبِّ، فَيَقُولُ: اذْهَبْ إِلَى أُمَّتِكَ، فَمَنْ وَجَدْتَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ مِنْ الإيمان فَأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، فَأَذْهَبُ، فَمَنْ وَجَدْتُ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَلِكَ أَدْخَلْتُهُمْ الْجَنَّةَ، وَفُرِغَ مِنْ حِسَابِ النَّاسِ وَأُدْخِلَ مَنْ بَقِيَ مِنْ أُمَّتِي فِي النَّارِ مَعَ أَهْلِ النَّارِ، فَيَقُولُ أَهْلُ النَّارِ: مَا أَغْنَى عَنْكُمْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ اللَّهَ وَلَا تُشْرِكُونَ بِهِ شَيْئًا، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: فَبِعِزَّتِي لَأَعْتِقَنَّهُمْ مِنْ النَّارِ، فَيُرْسِلُ إِلَيْهِمْ، فَيَخْرُجُونَ مِنْ النَّارِ وَقَدْ امْتُحِشُوا، فَيُدْخَلُونَ فِي نَهَرِ الْحَيَاةِ، فَيَنْبُتُونَ فِيهِ كَمَا تَنْبُتُ الْحِبَّةُ فِي غُثَاءِ السَّيْلِ وَيُكْتَبُ بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ اللَّهِ، فَيُذْهَبُ بِهِمْ فَيُدْخَلُونَ الْجَنَّةَ، فَيَقُولُ لَهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ: هَؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ، فَيَقُولُ الْجَبَّارُ: بَلْ هَؤُلَاءِ عُتَقَاءُ الْجَبَّارِ ﷻ".

١- بَطَرُ الحَق: دفعه وإنكاره ترفعاً
٢- غَمْطُ النَّاس: الاحتقار

ثانيا: فضل أهل الإيمان

١ - أهل الإيمان يحيون حياة طيبة:

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (النحل:٩٧)

ذكر ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره (٢/٥٦٦):

أن من خصائص الإيمان أنه يثمر طمأنينة القلب وراحته وقناعته بما رزقه الله، وعدم تعلقه بغيره، وهذه هي الحياة الطيبة، فإن أصل الحياة الطيبة: راحة القلب وطمأنينته، وعدم تشوشه مما يتشوش منه الفاقد للإيمان الصحيح والحياة الطيبة تشمل: الرزق الحلال الطيب والقناعة والسعادة ولذة العبادة في الدنيا والعمل بالطاعة والانشراح بها. **ثم قال ابن كثير- رحمه الله-:**" والصحيح ان الحياة الطيبة تشمل هذا كله ". أهـ بتصرف

(انظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للسعدي -رحمه الله- صـ ٦٨)

فلا يمكن أن يحيا العبد حياة طيبه إلا وهو متمتع بنعمة الإيمان والعمل الصالح فمهما اجتهد العبد فالأعمال الصالحة وكان فاقد للإيمان فلا يمكن أن يحيا الحياة الطيبة، ومهما ملك العبد من أعراض الدنيا وشهواتها ولكنه بعيد عن الإيمان فلا يمكن أن يحيا حياة طيبة، والناس كلهم يطمعون في هذه الحياة الطيبة فهي سعادة الدنيا التي ينشدونها ولكنهم ضلوا الطريق إليها فظنوا أن طريقها هو جمع المال الذي يحصلون به السعادة، فيبزلون أعمارهم في طلب المال والاستكثار منه فيشقون بجمعه والحرص عليه ومنع حق الله فيهم ثم يعذبون به في الآخرة. **قال تعالى:** ﴿ فَلَا تُعْجِبْكَ أَمْوَالُهُمْ وَلَا أَوْلَادُهُمْ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ بِهَا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَتَزْهَقَ أَنْفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ ﴾ (التوبة:٥٥).

وكلما ازداد ايمان العبد كلما سعد في الدنيا قبل الآخرة **قال تعالى:** ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا وَتَطْمَئِنُّ قُلُوبُهُمْ بِذِكْرِ اللَّهِ أَلَا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ ﴾ (الرعد:٢٨).

قال شيخ الإسلام ابن تيمية- رحمه الله-: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة.

وقال ابن القيم- رحمه الله- في كتابه الوابل الصيب صـ٩٦-٩٧ واصفاً شيخه- شيخ الإسلام-:

وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط مع ما كان فيه من ضيق وخلاف الرفاهية والنعيم، بل ضدها، ومع ما كان فيه الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشاً وأشرحهم صدراً، وأقواهم قلبا، وأسرِّهم، تلوح نضرة النعيم على وجهه.

وكنا إذا اشتد بنا الخوف وساءت منا الظنون، وضاقت بنا الأرض أتيناه، فما هو إلا أن نراه ونسمع كلامه فيذهب ذلك كله عنا، وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة، فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه، وفتح لهم أبوابها في دار العمل، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها. أهـ

فالله عز وجل شرع لنا الشرع المتين من أجل أن نسعد في دنيانا وآخرتنا، ومن أعرض عن شرع الله- عز وجل- أو فقد الإيمان بالله -عز وجل- كان أشقى الناس في الدنيا قبل الآخرة.

٢- أهل الإيمان هم أفضل الناس عند الرحمن:

أخرج الإمام مسلم من حديث أبي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ:

"مَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْأُتْرُجَّةِ رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا طَيِّبٌ وَمَثَلُ الْمُؤْمِنِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ التَّمْرَةِ لَا رِيحَ لَهَا، وَطَعْمُهَا حُلْوٌ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي يَقْرَأُ الْقُرْآنَ مَثَلُ الرَّيْحَانَةِ، رِيحُهَا طَيِّبٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ، وَمَثَلُ الْمُنَافِقِ الَّذِي لَا يَقْرَأُ الْقُرْآنَ كَمَثَلِ الْحَنْظَلَةِ لَيْسَ لَهَا رِيحٌ وَطَعْمُهَا مُرٌّ".

فهذا حال المؤمن نافع لنفسه متعد نفعه إلى غيره أو قاصر النفع على نفسه وفي كل خير.

قال العلامة السعدي- رحمه الله- في كتابه" التوضيح والبيان لشجرة الإيمان صـ٦٣-٩٠"

فإن الناس أربعة أقسام:

- **الأول:** خير في نفسه متعد خيره إلى غيره، وهو خير الأقسام. فهذا المؤمن الذي قرأ القرآن وتعلم علوم الدين فهو نافع لنفسه متعد نفعه إلى غيره مبارك أينما كان كما **قال الله تعالى عن عيسى -عليه السلام-:**

﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ (مريم: ٣١)

- **والثاني:** طيب في نفسه صاحب الخير، وهو المؤمن الذي ليس عنده من العلم ما يعود به على غيره.

فهذان القسمان هما خير الخليقة، والخير الذي فيهم عائد إلى ما معهم: من الإيمان القاصر والمتعدي نفعه إلى الغير بحسب أحوال المؤمنين.

- **والقسم الثالث:** من هو عادم للخير ولكنه لا يتعدى ضرره إلى غيره.

- **والرابع:** من هو صاحب شر على نفسه وعلى غيره فهذا شر الأقسام، **قال تعالى عنهم:** ﴿الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ﴾ (النحل:٨٨)

فعاد الخير كله إلى الإيمان وتوابعه وعاد الشر إلى فقد الإيمان والاتصاف به والله الموفق أهـ

ومما يدل على أن أهل الإيمان هم أفضل الناس وأحبهم إلى الله تعالى ما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **"المؤمن القوي خيرٌ وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف، وفي كلٍ خير، احرص على ما ينفعك، واستعن بالله ولا تعجز، وإن أصابك شيءٌ فلا تقل: لو أنّي فعلتُ كان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإنَّ لو تفتح عمل الشيطان "**

قال النووي- رحمه الله- في" شرحه على مسلم:١٦/ ٢٠١٥":

والمراد بالقوة هنا، عزيمة النفس والقريحة في أمور الآخرة، فيكون صاحب هذا الوصف أكثر إقداما على العدو في الجهاد، وأسرع خروجا إليه، وذهابا في طلبه، وأشد عزيمة في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، والصبر على الأذى في كل ذلك، واحتمال المشاق في ذات الله تعالى، وأرغب في الصلاة، والصوم، والأذكار، وسائر العبادات، وأنشط طلباً لها، ومحافظةً عليها، ونحو ذلك. اهـ

٣- أهل الإيمان أعزهم الله- تعالى- في الدنيا والآخرة:

قال تعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (المنافقون: ٨)

وقال عز وجل: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ (فاطر: ١٠)

فالله ﷻ هو العزيز، فمن أراد العزة فعليه بطاعة الله العزيز.

وقد جاء في مستدرك الحاكم عن طارق بن شهاب قال: **"خرج عمر بن الخطاب ﷺإلى الشام ومعنا أبو عبيدة بن الجراح فأتوا على مخاضة وعمر على ناقة له، فنزل عنها وخلع خفيه فوضعهما على عاتقه، وأخذ بزمام ناقته فخاض بها المخاضة، فقال أبو عبيدة: يا أمير المؤمنين أأنت تفعل هذا! تخلع خفيك وتضعهما على عاتقك، وتأخذ بزمام ناقتك، وتخوض بها المخاضة؟ ما يسرني أن أهل البلد استشرفوك.. فقال عمر: أوه لو يقول ذا غيرك أبا عبيدة جعلته نكالاً لأمة محمد ﷺ، إنا كنا أذل قوم فأعزنا الله بالإسلام، فمهما نطلب العزة بغير ما أعزنا الله به أذلنا الله".**

وجاء في "فيض القدير للمناوي:٦/٧٣": "إذا أردت أن يكون لك عزٌّ لا يفنى، فلا تستعزَّ بعزٍّ يفنى، العطاء من الخَلْق حرمان، والمنع من الله إحسان، جلَّ ربُّنا أن يعامل العبد نقدًا فيجازيه نسيئة، إنَّ الله حَكَم بحكم قبل خَلْق السَّماوات والأرض: ألا يطيعه أحد إلَّا أعزَّه، ولا يعصيه أحد إلَّا أذلَّه، فرَبَط مع الطَّاعة العزَّ، ومع المعصية الذُّلَّ، كما رَبَط مع الإحراق النَّار، فمن لا طاعة له لا عزَّ له".

وفي حديث القنوت الذي علمه النبي ﷺ للحسن رضي الله عنه وفيه: " **إنَّهُ لا يَذِلُّ مَنْ وَالَيْتَ، تَبَارَكْتَ رَبَّنَا وَتَعَالَيْتَ** "

وكان الإمام أحمد- رحمه الله- يدعو: " **اللهم أعزنا بطاعتك ولا تذلنا بمعصيتك**".

فليس هناك مصدر للعزة إلا الله عز وجل وليس هناك سبيل إلى حصولها غير الإيمان والعمل الصالح، وقد كتب الله الذلة على كل من حاد عن الصراط

وقد كتب الله الذلة على كل من حاد عن طريق أهل الإيمان

كما ورد في الحديث الذي أخرجه الإمام أحمد من حديث ابن عمر- رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: " **وجُعِلت الذِّلَّة والصَّغارُ على من خالف أمري، ومن تشبَّه بقومٍ فهو منهم**" ***وفي رواية:*** " **وجُعِلَ الصَّغَارُ والذِّلَّةُ على من خالفَ أمري**".

وقال الحسن البصري- رحمه الله- في شأن العصاة والمخالفين لأمر رب العالمين: **إنهم وإن طقطقت بهم البغال، وهملجت بهم البراذين، إن ذل المعصية لفي قلوبهم، أبى الله إلا أن يذل من عصاه .**

فالكافر ذليل، والمبتدع ذليل، والمنافق ذليل، والعاصي قليل الإيمان ذليل، كل بحسبه، والعزة لله ولرسوله وللمؤمنين

٤- أهل الإيمان لهم الهدى التام والفلاح الكامل:

قال تعالى: ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ أُولَٰئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ (البقرة: ١-٥)

قال السعدي- رحمه الله- في كتابه" التوضيح والبيان لشجرة الإيمان صـ٧٨":

فهذا هو الهدى التام والفلاح الكامل، فلا سبيل إلى الهدى والفلاح- اللذين لا صلاح ولا سعادة إلا بهما- إلا بالإيمان التام بكل كتاب أنزله الله، وبكل رسول أرسله الله، فالهدى أجمل الوسائل، والفلاح أكمل الغايات. أهـ

٥- أهل الإيمان لهم الأمن التام في الدنيا والآخرة:

قال تعالى حاكيا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَكَيْفَ أَخَافُ مَا أَشْرَكْتُمْ وَلَا تَخَافُونَ أَنَّكُمْ أَشْرَكْتُمْ بِاللَّهِ مَا لَمْ يُنَزِّلْ بِهِ عَلَيْكُمْ سُلْطَانًا فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨١﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ (الأنعام: ٨١-٨٢)

قال الاستاذ محمد بن سعد الشويعر ما ملخصه[1]:

نفس لا إيمان فيها تبقى مضطربة وقلقة وتائهة وخائفة

فأما اضطرابها فلأنها كالسفينة التي تتقاذفها الرياح في البحر، فتموج بها تقلبات الجو يمينا وشمالاً وتتقاذفها العوامل المؤثرة التي تطغى عليها، فهي لم تجد ما يرسيها أو يوصلها لبر الأمان، لأن كل نفس تأخذ مصدرا تشريعيا في سلوكها أو منهجاً عقديا في تصرفاتها غير المصدر الذي أوجده الله للمؤمنين، وارتضاه سبحانه لعباده وبعث به رسله، فإنه لا يلبي رغبة، ولا يريح نفسا، ولا يحقق هدفا.

والمصدر الذي ارتضاه الله هو كتابه القويم الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من عزيز حكيم، ثم بلغ به المصطفي من وحي عن ربه أو أوضحه من شرع لصالح الأمة وإنقاذهم من الضلالة مما يعالج ما يختلج في النفوس ويؤرق الضمائر، وبهذين المصدرين تسكن النفس من اضطرابها، وترتاح في مسيرتها، وتطمئن على حاضر أمرها ومستقبله

أما كونها قلقة: فإن من الغرائز التي أودعها الله في النفوس حب استجلاء المستقبل والتخوف من العواقب، ولكي تسير في اتجاهها: تلجأ يمينا وشمالا للبحث عما يحقق قبساً من أملها أو راحة من ضمير، ولا يمحو هذا القلق والحيرة من النفوس إلا يقين يزيل دواعي هذا القلق ويقضي على مسبباته، والإيمان بالقدر خيره وشره واليقين بأن ما قدره الله كائن لامحالة، والرضا بما قسم الله من أقوى دعائم هذا اليقين، كما في حديث ابن عباس -رضى الله عنهما-.

وأما كونها تائهة: فإن من يسير بغير هدى أو معرفة لشرع الله الذي شرع لعباده. فإنه كالمسافر في طريق لا يعرف اتجاهه، وطرق المسالك في العبادة والعقيدة كالطرق الموصلة من مكان لمكان، فالذي يأخذ المعروف منها بعلاماته وارشاداته فإنه قد سلك الآمن الموصل، أما غيره من الطرق فإنها تؤدي للضياع والاضطراب النفسي، وتدعو للخوف على النفس من المخاطر العديدة، وعلى المال والممتلكات،

[1]- مجلة البحوث الإسلامية العدد السابع عشر بحث "أثر الإيمان في إشاعة الاطمئنان" بقلم الدكتور: محمد بن سعد الشويعر ص (١٥٧،١٥٨).

ألم يقل سبحانه: ﴿وَأَنَّ هَـذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ (الأنعام: ١٥٣). أهـ

فلا سبيل إلى أمنِ الأفراد والمجتمعات إلا بالإيمان بالله عز وجل والخضوع لشرعه فالمؤمن دائماً في أمان واطمئنان، لأنه يسلم أمره لله ويرضى بقضائه ويخضع لشرعه ويطمع في ثوابه، وفاقد الإيمان كيف يطمئن وهو لا يؤمن بالله العظيم الذي يملك مقادير كل شيء، وهو متخوف على نفسه وماله، وإذا أصيب بالمصائب لا يحتسبها ولا يرجو عند الله ثوابها، فهو في خوف واضطراب وشقاء وعذاب. بخلاف أهل الإيمان فلهم الأمن المطلق في الدنيا والآخرة، **كما في قوله تعالى:** ﴿الَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُواْ إِيمَانَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـئِكَ لَهُمُ الأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾ (الأنعام:٨٢)

ولهم كذلك الأمن المقيد في مثل **قوله تعالى:** ﴿وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلاَّ مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (الأنعام: ٤٨)

فنفي عنهم الخوف لما يستقبلونه، والحزن مما مضى، وبذلك يتم لهم الأمن، فالمؤمنون لهم الأمن التام في الدنيا والآخرة.

٦ - أهل الإيمان يتولاهم الله - عز وجل- وكفي بهذا شرفا:

قال تعالى ﴿وَاللّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨)

فالمؤمنون تولوا ربهم بالمحبة والنصرة، فالله عز وجل تولاهم بالتأييد والتسديد وإجابة دعوتهم، وتفريج كربتهم، ونصره لهم على عدوه وعدوهم.

- ومن كان الله وليه فلا خوف عليه ولا حزن **وقال تعالى:** ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عليهمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ (يونس: ٦٢) **ثم وصفهم بقوله** ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ (يونس: ٦٣)

- ومن كان الله وليه فهو ناصره ومعينه كما قال تعالى: ﴿اللّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُواْ يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ (البقرة: ٢٥٧)

فأصحاب الإيمان الله ناصرهم ومعينهم، هو الذي يخرجهم من ظلمات الشرك إلى نور التوحيد، ومن ظلمات الجهل إلى نور العلم، ومن ظلمات الريب والشكوك إلى نور اليقين، ومن ظلمات الرياء إلى نور الإخلاص، ومن ظلمات البدع والضلالات إلى نور الحق والسنة.

٧- أهل الإيمان دائما على خير:

فقد أخرج الإمام مسلم من حديث أبي يحيى صهيب بن سنان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"عجباً لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر وكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له"

فقسم النبي ﷺ المؤمنين إلى قسمين: قسم قوي في عمله وقوة إيمانه وفي نفعه لغيره، وقسم ضعيف في هذه الأشياء. ومع ذلك ففي كل من القسمين خير، لأن الإيمان وآثاره كله خير وإن تفاوت المؤمنون في هذا الخير

قال المناوي- رحمه الله- في " فيض القدير: ٤/٣٠":

قال الطيبي رحمه الله: وقوله: "**عجباَ**" أصله أعجب عجبا فعدل عن الرفع إلى النصب للثبات كقولك سلام عليك: " **لأمر المؤمن، إن أمره كله له خير، وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن**" وليس ذلك للكافرين ولا للمنافقين ثم بين وجه العجب بقوله "**إن أصابته سراء**" كصحة وسلامة ومالٍ وجاه "**شكر**" الله على ما أعطاه "**وكان خير له**" فإنه يصير من أحزاب الصابرين الذين أثنى الله عليهم في كتابه المبين، فالعبد ما دام قلم التكليف جاريا عليه فمناهج الخير مفتوحة بين يديه فإنه بين نعمة يجب عليه شكر المنعم بها ومصيبة يجب عليه الصبر عليها وأمر ينفذه ونهى يجتنبه، وذلك لازم له إلى الممات .أ هـ

فالمؤمن دائما راضي النفس، مطمئن القلب على كل حال، لأنه يعرف الواجب عليه في السراء والضراء وهو رابح على كل حال عند النعمة وعند البلاء، فهو في النعمة شاكر وعند البلاء صابر.

٨- أهل الإيمان في معية الرحمن:

ومعية الله تعالى معيتان:

أحدهما: معية عامة، فالكل تحت سلطانه يعلم أحوالهم، ويرى أفعالهم ويسمع كلامهم ويستوي في هذا المؤمن والكافر والصالح والطالح، وهذا معنى **قوله تعالى** ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ (الحديد:٤)

وثانيها: معية خاصة وهي لا تكون إلا لأهل الإيمان وأصفياء الرحمن وهذه المعية الخاصة يقصد بها التأييد والتسديد والحفظ والكلأ الرعاية والنصرة.

- **قال تعالى:** ﴿إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمُ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنْتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنْكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الأنفال: ١٩)

- **وقال تعالى:** ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ (النحل: ١٢٨)

- **وقال تعالى:** ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُ بِجُنُودٍ لَمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ الَّذِينَ كَفَرُوا السُّفْلَى وَكَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ (التوبة: ٤٠)

- **وقال تعالى:** ﴿قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَى﴾ (طه: ٤٦)

وهذه المعية تستوجب من العبد التقوّى بالله تعالى، والتعزز به، والاعتماد عليه، والأنس به والرضا به ﷻ

أرسل أحد السلف إلى أخيه يقول له: أما بعد فإن كان الله معك فمن تخاف، وإذا كان عليك فمن ترجو.

ومن كان الله معه فمعه الحارس الذي لا ينام، والقوي الذي لا يهزم، والقاهر الذي لا يغلب، والجزاء من جنس العمل، فلما كان المؤمن مع ربه ﷻ بالطاعة والالتزام، والعمل بشرعه، كان الله معه يؤيده وينصره ويجيب دعوته، ويفرج كربته.

٩- أهل الإيمان يؤيدهم الله وينصرهم على أعدائهم:

قال تعالى: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ١٣٩)

ويقول تعالى: ﴿وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ (المائدة: ٥٦)

وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءُوهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَانْتَقَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الروم: ٤٧)

١٠ - أهل الإيمان يدافع الله عنهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ﴾ (الحج: ٣٨)

يقول الشيخ السعدي- رحمه الله- في تفسيره (١/٥٣٩):

هذا إخبار ووعد وبشارة من الله للذين آمنوا أن الله يدفع عنهم كل مكروه، ويدفع عنهم – بسبب إيمانهم – كل شر من شرور الكفار، وشرور وسوسة الشيطان، وشرور أنفسهم، وسيئات أعمالهم ويحمل عنهم عند نزول المكارة ما لا يتحملون، فيخفف عنهم غاية التخفيف بعد نزول المكارة، وكل مؤمن له من هذه المدافعة والفضيلة بحسب إيمانه فمستقل ومستكثر. أهـ بتصرف

وقال الفخر الرازي- رحمه الله- في التفسير الكبير: ٢٣/٣٤ عند الآية السابقة":

ذكر " إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا " ولم يذكر ما يدفعه حتى يكون أفخم وأعظم وأعم، وإن كان في الحقيقة أنه يدافع بأس المشركين، فلذلك قال بعده " إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ كَفُورٍ" فنبه بذلك على أنه يدفع عن المؤمنين كيد من هذا صفته.

وقال كذلك: هذه بشارة للمؤمنين بإعلائهم على الكفار وكف بوائقهم عنهم وهي **كقوله:** ﴿لَن يَضُرُّوكُمْ إِلاَّ أَذًى وَإِن يُقَاتِلُوكُمْ يُوَلُّوكُمُ الأَدْبَارَ ثُمَّ لاَ يُنصَرُونَ﴾ (آل عمران: ١١١) **وكقوله:** ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر: ٥١) **وكقوله تعالى:** ﴿وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ ﴾ (الصافات: ١٧٢)، **وكقوله تعالى:** ﴿ وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الصف:١٣). أهـ

١١ - أهل الإيمان يهديهم ربهم إلى صراطه المستقيم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ تَجْرِي مِن تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ﴾ (يونس: ٩)

قال ابن كثير- رحمه الله- في" تفسيره:٢/٣٩٠ "

" يحتمل أن تكون الباء هنا سببية، فتقديره: أي بحسب إيمانهم في الدنيا، يهديهم الله يوم القيامة على الصراط المستقيم، حتى يجوزوه ويخلصوا إلى الجنة، ويحتمل أن تكون للاستعانة، كما قال مجاهد –رحمه الله– ﴿ يَهْدِيهِمْ رَبُّهُمْ بِإِيمَانِهِمْ﴾ قال: يكون لهم نوراً يمشون به ". أهـ

١٢ - أهل الإيمان هم أهل الفلاح:

قال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون: ١)

قال الشيخ السعدي- رحمه الله- في " تفسيره: ١/ ٥٤٧":

" هذا تنويه من الله يذكر عباده المؤمنين بذكر فلاحهم وسعادتهم، وبأي شيء وصلوا إلى ذلك، وفي ضمن ذلك الحث على الاتصاف بصفاتهم والترغيب فيها، فليزن العبد نفسه وغيره على هذه الآيات، يعرف بذلك ما معه وما مع غيره من الإيمان زيادة ونقصاً، كثرة وقلة، فقوله تعالى ﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾ (المؤمنون:١).

أي: قد فازوا وسعدوا ونجحوا وأدركوا كل ما يروم المؤمنون الذين آمنوا بالله وصدقوا المرسلين.

وقال الشنقيطي- رحمه الله- في أضواء البيان (٥/ ٣٠):

وفلاح المؤمنين مذكور ذكراً كثيراً في القرآن **كقوله:** ﴿وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا﴾ (الأحزاب: ٤٧) أهـ

١٣ - أهل الإيمان تستغفر لهم ملائكة الرحمن:

قال تعالى: ﴿الَّذِينَ يَحْمِلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ﴾ (غافر: ٧)

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره: ٤/ ٧١:

يخبر تعالى عن الملائكة المقربين من حملة العرش ومن حوله من الملائكة بأنهم يسبحون بحمد ربهم أي يتقربون بالتسبيح الدال على نفي النقائص والتحميد المقتضى لإثبات صفات المدح ﴿وَيُؤْمِنُونَ بِهِ﴾ أي خاشعون له أذلاء بين يديه، وأنهم ﴿وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾ أي من أهل الأرض ممن آمن بالغيب، فقيض الله تعالى ملائكته المقربين أن يدعو للمؤمنين بظهر الغيب، ولما كان هذا من سجايا الملائكة عليهم الصلاة والسلام كانوا يؤمنون على دعاء المؤمن لأخيه بظهر الغيب ***كما ثبت في صحيح مسلم:*** **"إذا دعا المسلم لأخيه بظهر الغيب قال الملك: آمين ولك بمثله"**. أهـ بتصرف

١٤ - أهل الإيمان يستغفر لهم الأنبياء والمرسلين:

قال نوح -عليه السلام-: ﴿رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِمَنْ دَخَلَ بَيْتِيَ مُؤْمِنًا وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَلَا تَزِدِ الظَّالِمِينَ إِلَّا تَبَارًا﴾ (نوح: ٢٨)

وقال إبراهيم -عليه الصلاة والسلام-: ﴿رَبِّ اجْعَلْنِي مُقِيمَ الصَّلَاةِ وَمِنْ ذُرِّيَّتِي رَبَّنَا وَتَقَبَّلْ دُعَاءِ ﴿٤٠﴾ رَبَّنَا اغْفِرْ لِي وَلِوَالِدَيَّ وَلِلْمُؤْمِنِينَ يَوْمَ يَقُومُ الْحِسَابُ﴾ (إبراهيم: ٤٠-٤١)

وقال تعالى لنبيه ﷺ: ﴿فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ﴾ (محمد: ١٩)

١٥ - أهل الإيمان يبارك الله لهم في سعيهم ولا يضيع عليهم أجرهم:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا﴾ (الكهف: ٣٠)

وقال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ﴾ (الأنبياء: ٩٤)

أي لا يُجحد سعيه ولا يضيع عمله، بل يضاعف بحسب قوة إيمانه فاشترط الله عز وجل في الآية السابقة الإيمان لقبول صالح الأعمال

وقال تعالى: ﴿وَمَنْ أَرَادَ الْآخِرَةَ وَسَعَى لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُولَئِكَ كَانَ سَعْيُهُمْ مَشْكُورًا﴾ (الإسراء: ١٩)

وأخرج الإمام مسلم من حديث أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" إن الله لا يظلم مؤمنا حسنة يُعطى بها في الدنيا، ويُجزى بها في الآخرة، وأما الكافر فيُطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم يكن له حسنة يُجزى بها"

١٦ - أهل الإيمان أولى الناس بإبراهيم وبمحمد - عليهما الصلاة والسلام-:

قال تعالى: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (آل عمران: ٦٨)

وقال تعالى: ﴿مَا كَانَ إِبْرَاهِيمُ يَهُودِيًّا وَلَا نَصْرَانِيًّا وَلَكِنْ كَانَ حَنِيفًا مُسْلِمًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ (آل عمران: ٦٧)

يقول الشيخ السعدي- رحمه الله- في" تفسيره:١/١٣٤": "كانت الأديان كلها اليهود والنصارى والمشركون وكذلك المسلمون كلهم يدعون أنهم على ملة إبراهيم، فأخبر الله تعالى أن أولى الناس بمحمد ﷺ وأتباعه وأتباع الخليل قبل محمد ﷺ، وأما اليهود والنصارى والمشركون فإبراهيم برئ منهم ومن ولايتهم لأن دينه الحنفية السمحة". أهـ

١٧ - أهل الإيمان وعدهم الله أجرا عظيما وفضلا كبيرا:

فقال تعالى: ﴿ إِلاَّ الَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَاعْتَصَمُواْ بِاللّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلّهِ فَأُوْلَـئِكَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ وَسَوْفَ يُؤْتِ اللّهُ الْمُؤْمِنِينَ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء: ١٤٦)

وقال تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُم مِّنَ اللَّهِ فَضْلاً كَبِيراً ﴾ (الأحزاب: ٤٧)

وقال تعالى: ﴿ إِنَّ هَـذَا الْقُرْآنَ يِهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً كَبِيراً ﴾ (الإسراء: ٩)

وهذا الأجر الكبير والثواب العظيم دائم لا ينقطع

قال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴾ (فصلت: ٨)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هُرَيْرَة ﷺ عن النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: "انْتَدَبَ[1] اللَّهُ لِمَنْ خَرَجَ فِي سَبِيلِهِ لا يُخْرِجُهُ إِلَّا إِيمَانٌ بِي وَتَصْدِيقٌ بِرُسُلِي أَنْ أُرْجِعَهُ بِمَا نَالَ مِنْ أَجْرٍ أو غَنِيمَةٍ، أو أُدْخِلَهُ الْجَنَّةَ، وَلَوْلا أَنْ أَشُقَّ عَلَى أُمَّتِي مَا قَعَدْتُ خَلْفَ سَرِيَّةٍ، وَلَوَدِدْتُ أَنِّي أُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ، ثُمَّ أُحْيَا ثُمَّ أُقْتَلُ"

وفي الصحيحين أيضا عن أبي موسى الأشعري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:" ثلاثة لهم أجران: رجل من أهل الكتاب آمن بنبيه وآمن بمحمد ﷺ، والعبد المملوك إذا أدى حق الله وحق مواليه، ورجل كانت عنده أمةٌ فأدبها فأحسن تأديبها وعلمها فأحسن تعليمها ثم أعتقها فتزوجها فله أجران"

١٨ - أهل الإيمان وعدهم الله- تعالى- بالإستخلاف في الأرض:

قال تعالى: ﴿ وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْناً يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئاً وَمَن كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ ﴾ (النور: ٥٥)

[1]- انتدب الله: أي سارع بثوابه وحسن جزائه، وقيل: أجابه الى المراد بمطلوبه

١٩ - أهل الإيمان يقومون بواجب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر:

فقد أخرج الإمام مسلم عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " مَا مِنْ نَبِيٍّ بَعَثَهُ اللَّهُ فِي أُمَّةٍ قَبْلِي إِلاَّ كَانَ لَهُ مِنْ أُمَّتِهِ حَوَارِيُّونَ[١] وَأَصْحَابٌ يَأْخُذُونَ بِسُنَّتِهِ وَيَقْتَدُونَ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِنَّهَا[٢] تَخْلُفُ مِنْ بَعْدِهِمْ خُلُوفٌ[٣] يَقُولُونَ مَا لاَ يَفْعَلُونَ وَيَفْعَلُونَ مَا لاَ يُؤْمَرُونَ فَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِيَدِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِلِسَانِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ، وَمَنْ جَاهَدَهُمْ بِقَلْبِهِ فَهُوَ مُؤْمِنٌ وَلَيْسَ وَرَاءَ ذَلِكَ مِنَ الإيمان حَبَّةُ خَرْدَلٍ".

٢٠ - أهل الإيمان آمنون على أموالهم وأنفسهم

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" أمرت أن أقاتل الناس حتى يشهدوا ألا إله إلا الله، ويؤمنوا بي وبما جئت به، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقّها وحسابُهُم على الله".

٢١ - أهل الإيمان يأمنهم الناس على أموالهم وأنفسهم

فقد أخرج البزار والطبراني عن فضالة بن عُبيد ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ في حجة الوداع " سأخبركم من المسلم، من سلم المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أمنه الناس على أموالهم وأنفسهم، والمهاجر من هجر الخطايا والذنوب، والمجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله".

٢٢ - أهل الإيمان لا يتسلط عليهم الشيطان:

فقال تعالى: ﴿إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُم بِهِ مُشْرِكُونَ﴾ (النحل: ٩٩-١٠٠)

قال القاسمي- رحمه الله- في كتابه "محاسن التأويل: ١٠/١٥٧": بين تعالى أن أثر وسوسته إنما يكون فيمن له سلطان عليهم أي تسلط وولاية من أولياءه المتبعين خطواته، وأما الذين أمنوا وتوكلوا على ربهم فصبروا على المكاره ولم يبالوا بما يلقون في سبيل الجهاد بالحق من العثرات، فليس له عليهم سلطان فهم يضادون أمانيه ويهدمون كل ما يلقيه، لأن إيمانهم يفيدهم النور الكاشف عن مكره والتوكل على الله يفيدهم التقوية بالله فيمنع من معاندة الشيطان وقوة تأثيره. أهـ

---

[١]- الحواريون: هم الخلصاء والأنصار وأصله من التحوير أي التبيض.
[٢]- ثم إنها: الضمير في إنها هو الذي يسميه النحويون ضمير القصة والشأن
[٣]- خلوف: جمع خلف بفتح الخاء وهو القرن من الناس والمعنى تأتي بعدهم قرون من الناس

٢٣ - أهل الإيمان لا يتسلط عليهم الأعداء:

قال الله تعالى: ﴿ الَّذِينَ يَتَرَبَّصُونَ بِكُمْ فَإِن كَانَ لَكُمْ فَتْحٌ مِّنَ اللَّهِ قَالُوا أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ وَإِن كَانَ لِلْكَافِرِينَ نَصِيبٌ قَالُوا أَلَمْ نَسْتَحْوِذْ عَلَيْكُمْ وَنَمْنَعْكُم مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ (النساء: ١٤١)

قال ابن كثير في" تفسيره:١/٥٦٧" عند هذه الآية: روى عبد الرزاق عن سبيع الكندي قال: جاء رجل إلى علي بن أبي طالب ﷺ فقال: "كيف هذه الآية (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) فقال علي ﷺ أدنه، أدنه ﴿ فَاللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ وكذا روى ابن جريج عن عطاء الخرساني عن ابن عباس- رضي الله عنهما- ﴿ وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً ﴾ قال: ذاك يوم القيامة، وكذا روى السدي عن أبي مالك الأشجعي: يعني يوم القيامة

وقال السدي- رحمه الله-: "**سبيلا** " أي حجة ويحتمل أن يكون المعنى (ولن يجعل الله للكافرين على المؤمنين سبيلا) أي في الدنيا بأن يسلطوا عليهم استيلاء استئصال بالكلية وإن حصل لهم ظفر في بعض الأحيان على بعض الناس فإن العاقبة للمتقين في الدنيا والآخرة **كما قال تعالى:** ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَادُ ﴾ (غافر: ٥١)

- ومما يدل على أن أهل الإيمان لا يتسلط عليهم الأعداء وأهل الكفر والعصيان ما أخرجه الإمام مسلم

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ ﷺ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ: يَخْرُجُ الدَّجَّالُ، فَيَتَوَجَّهُ قِبَلَهُ رَجُلٌ من الْمُؤْمِنِينَ، فَيَلْقَاهُ الْمَسَالِحُ[١] مَسَالِحُ الدَّجَّالِ، فَيَقُولُونَ لَهُ: أَيْنَ تَعْمِدُ ؟ فَيَقُولُ: أَعْمِدُ إِلَى هَذَا الَّذِي خَرَجَ. قَالَ: فَيَقُولُونَ لَهُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ؟ فَيَقُولُ: مَا بِرَبِّنَا خَفَاءٌ، فَيَقُولُونَ: اقْتُلُوهُ، فَيَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ: أَلَيْسَ قَدْ نَهَاكُمْ رَبُّكُمْ أَنْ تَقْتُلُوا أَحَدًا دُونَهُ، قَالَ: فَيَنْطَلِقُونَ بِهِ إِلَى الدَّجَّالِ، فَإِذَا رَآهُ الْمُؤْمِنُ، قَالَ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، هَذَا الدَّجَّالُ الَّذِي ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، قَالَ: فَيَأْمُرُ الدَّجَّالُ بِهِ، فَيُشَبَّحُ[٢]، فَيَقُولُ: خُذُوهُ وشجوه[٣]، فَيُوسَعُ ظَهْرُهُ وَبَطْنُهُ ضَرْبًا، قَالَ: فَيَقُولُ: أَوَمَا تُؤْمِنُ بِي ؟ قَالَ: فَيَقُولُ: أَنْتَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، قَالَ: فَيُؤْمَرُ بِهِ، فَيُوشَرُ بِالْمِنْشَارِ مِنْ مَفْرِقِهِ[٤] حَتَّى يُفَرَّقَ بَيْنَ رِجْلَيْهِ، قَالَ: ثُمَّ يَمْشِي الدَّجَّالُ بَيْنَ الْقِطْعَتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: قُمْ فَيَسْتَوِي قَائِمًا، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: أَتُؤْمِنُ بِي؟ فَيَقُولُ: مَا ازْدَدْتُ فِيكَ إِلا بَصِيرَةً، قَالَ: ثُمَّ يَقُولُ: يَأَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّهُ لا يَفْعَلُ بَعْدِي بِأَحَدٍ مِنَ النَّاسِ، قَالَ: فَيَأْخُذُهُ الدَّجَّالُ لِيَذْبَحَهُ، فَيَجْعَلُ مَا بَيْنَ رَقَبَتِهِ إِلَى تَرْقُوَتِهِ[٥] نُحَاسًا[٦]، فَلا يَسْتَطِيعُ إِلَيْهِ سَبِيلا، قَالَ: فَيَأْخُذُ بِيَدَيْهِ وَرِجْلَيْهِ، فَيَقْذِفُ بِهِ، فَيَحْسَبُ النَّاسُ أَنَّمَا قَذَفَهُ إِلَى النَّارِ، وَإِنَّمَا أُلْقِيَ فِي الْجَنَّةِ "، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: " هَذَا أَعْظَمُ النَّاسِ شَهَادَةً عِنْدَ رَبِّ الْعَالَمِينَ".

١- المسالح زوي السلاح والمسلحة هم القوم الذين يحفظون الثغور من العدو وسمو كذلك لأنهم يكونون زوي سلاح
٢- يشبح أي يمد على بطنه
٣- يشج من الشج وهو أن يضربه بشيء فيجرحه به ويشقه والشبح في الرأس خاصة هو الأصل ثم استعمل لسائر الأعضاء
٤- مفرقه: مفرق الرأس، وسطه
٥- الترقوة: العظم الذي بين ثغرة النحر والعاتق
٦- هكذا الأصل (نحاسا) واللغة تقتضي أن يكون نحاس لأن الفعل يجعل مبنى للمجهول فهو نائب فاعل

٢٤ - أهل الإيمان هم أبعد الناس عن الريب والشك:

فالإيمان الصحيح يدفع الريبة والشك، ويقاوم ويقطع جميع الشكوك التي تعرض لكثير من الناس فتضرهم في دينهم، وليس لعلل الشكوك التي تلقيها شياطين الإنس والجن، والنفوس الأمارة بالسوء دواء الا تحقيق الإيمان

قال الله عز وجل: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾ (الحجرات:١٥) (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ السعدي رحمه الله صـ٨٣)

فالإيمان هو المنقذ لأصحابه من الاضطراب النفسي فبالإيمان يعرف الانسان مبدأ الوجود كله ومنتهاه وغايته وهدفه، وبه تنحل عقد الشك من النفوس، ويزيل علامات الاستفهام.

والمجتمع المحروم من نعمة الإيمان مجتمع بائس تائه ولو كان يملك من الثروات والرغد المادي ما يملك وخير شاهد على ذلك كثرة القلق والاضطرابات والانتحار في الأمم المتقدمة

فمن امتلأ قلبه بالإيمان امتلأ قلبه ثقة وطمأنينة ومن الرضا والسعادة ومن المعرفة واليقين وما يخلو قلب من الإيمان إلا امتلأ بالقلق والاضطراب ويستبد به الأسى والشقاء ويتخبط في الظلام ولا يعرف أين يضع قدميه في التيه الكئيب

وها هو عمر الخيام أحد الضائعين يقول:

لبست ثوب العمر لم استشر — وحرت فيه بين شتى الفكر
وسوف أنضو الثوب عني ولم — أدر لما جئت أين المفر؟

وها هو إيليا أبو ماضي وكلامه الذي يدل على حيرته وشكه وضياعه يقول:

جئت لا أعلم من أين ولكني أتيت — ولقد أبصرت قدامي طريقا فمضيت
وسأبقى سائرا إن شئت هذا أم أبيت — كيف جئت؟ كيف أبصرت طريقي؟

لست أدري!!

أجديد أم قديم أنا في الوجود؟ — هل أنا حر طليق أم أسير في قيود؟
هل أنا قائد نفسي في حياتي أم مقود؟ — أتمنى انني أدري... ولكن: لست أدري!!
وطريقي ما طريقي؟ أطويل أم قصير؟ — هل أنا أصعد أم اهبط فيه وأغور؟
أأنا السائر في الدرب أم الدرب يسير؟ — أم كلانا واقف والدهر يجري؟

لست أدري!!

إلى أخر ما قال في هذه القصيدة والتي تدل على تخبط هذا الإنسان في الحياة والتيه الذي حبس نفسه فيه ببعده عن الإيمان، وعدم القرب من الرحمن.

٢٥ - أهل الإيمان أبعد الناس عن الفحش والبذاءة والطعن واللعن:

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ[١] وَلا اللَّعَّانِ[٢] وَلا الْفَاحِشِ[٣] وَلا الْبَذِيءِ[٤] ".

وأخرج الترمذي وأبو داود عن أبي الدرداء ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: " ما من شيء أثقل في ميزان المؤمن يوم القيامة من خُلق حسن وإن الله ليبغض الفاحش البذيء "

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ﷺ عن رسول الله ﷺ قال:

" من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليقل خيراً أو ليصمت، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم جاره، ومن كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليكرم ضيفه"

٢٦ - أهل الإيمان هم الذين ينتفعون بالمواعظ والتذكير بالآيات:

قال تعالى: ﴿وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الذاريات:٥٥)

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُم مَّن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَـذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُواْ فَزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿١٢٤﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُواْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ (التوبة:١٢٤-١٢٥)

وقال تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ﴾ (الحجر:٧٧)

قال العلامة السعدي -رحمه الله-: "وهذا لأن الإيمان يحمل صاحبه على التزام الحق واتباعه علماً وعملاً وكذلك معه الآلة العظيمة، والاستعداد لتلقي المواعظ النافعة والآيات الدالة على الحق، وليس عنده مانع يمنعه من قبول الحق، ولا من العمل به. وأيضا فالإيمان يوجب سلامة الفطرة وحسن القصد، ومن كان كذلك انتفع بالآيات. **ومن لم يكن كذلك:** فلا يستغرب عدم قبوله للحق واتباعه له. ولهذا يذكر الله – في سياق تمنع الكافرين من تصديق الرسول وقبول الحق الذي جاء به – السبب الذي أوجب لهم ذلك، وهو الكفر الذي في قلوبهم. يعني: لأن الحق واضح وآياته بينة واضحة والكفر أعظم مانع يمنع من اتباعه، أي فلا تستغربوا هذه الحالة فإنها لم تزل دأب كل كافر". أهـ (التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ السعدي -رحمه الله- صـ٧٩)

وقد بين الله ﷻ في آيات أخر السبب في عدم انتفاع الكافرين بآيات الله **فقال تعالى:** ﴿وَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا * وَجَعَلْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةً أَن يَفْقَهُوهُ وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا وَإِذَا ذَكَرْتَ رَبَّكَ فِي الْقُرْآنِ وَحْدَهُ وَلَّوْا عَلَى أَدْبَارِهِمْ نُفُورًا﴾ (الإسراء: ٤٥-٤٦)

---

[١]- **الطعان:** أي الوقاع في أعراض الناس بالذم والغيبة ونحوها

[٢]- **اللعان:** أي للشتام، وأصل اللعن الطرد والإبعاد من الله.

[٣]- **الفحاش:** أي الذي يتفحش في كلامه، والفحش هو التعدي في القول والجواب، وكل خصلة قبيحة فهي فاحشة من الأقوال أو الأفعال، وقد يراد بالفاحشة الزنا.

[٤]- **البذيء:** من البذاءة وهي الفاحشة.

٢٧ - أهل الإيمان يبتليهم الله بالمصائب ليطهرهم من المعايب:

فقد أخرج الترمذي من حديث أبي هريرة ﷺعنه قال: قال رسول الله ﷺ

" ما يزال البلاء بالمؤمن والمؤمنة في نفسه، وولده، وماله، حتى يلقى الله تعالى وما عليه خطيئة ".

(صحيح الجامع: ٥٨١٥)

وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة وأبي سعيد- رضي الله عنهما- أنهما سمعا رسول الله ﷺ يقول:

" ما يصيب المؤمن من وصب[١] ولا نصب[٢]، ولا سقم ولا حزن حتى يهمه[٣] إلا كفر به من سيئاته ".

وأخرج ابن أبي الدنيا والحاكم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"وصب المؤمن كفارة لخطاياه".

قال ابن عبد البر- رحمه الله- في "كتابه التمهيد: ٢٦: ٢٣"

الذنوب تكوها المصائب والآلام والأمراض والأسقام وهذا أمر مجمع عليه: أهـ

وأخرج الإمام أحمد والبزار عن جابر بن عبد الله . رضي الله عنهما . أنه سمع رسولَ الله ﷺ يقول:

"لا يمرضُ مؤمنٌ ولا مؤمنةٌ ولا مسلمٌ ولا مسلمةٌ إلا حطَّ الله به خطيئتهُ ".

وأخرجه أيضا ابن حبان إلا أنه قال: **"إلا حطَّ الله بذلك خطاياهُ كما تنحطُ الورقَةُ عن الشجرة".**

وأخرج الإمام أحمد عن معاوية ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

"ما من شيء يُصيبُ المؤمنَ في جسده يؤذيهِ إلا كفر الله عنه من سيئاتهِ". (صحيح الجامع: ٥٧٢٤)

فالله سبحانه وتعالى يبتلي المؤمن في الدنيا ليطهره من الذنوب والمعاصي والآثام فيوافيه يوم القيامة ولا ذنب عليه. ***كما قال النبي ﷺ في مسند الإمام أحمد بسند صحيح:***

" فما يبرح البلاء بالعبد حتى يتركه يمشي على الأرض وما عليه خطيئة".

وأما إذا أراد الله بعبده شراً أمسك عنه مواد التطهير: من بلاء في جسده أو ماله أو ولده ... أو غير ذلك من ألوان البلاء، حتى يَرِد على الله يوم القيامة وقد أثقلت الذنوب كاهله.

وفي هذا يقول النبي ﷺ كما عند الترمذي بسند صحيح من حديث أنس ﷺ:

" إذا أراد الله بعبده الخير عجل له العقوبة في الدنيا، وإذا أراد بعبده الشر أمسك عنه بذنبه حتى يوافي به يوم القيامة". (صحيح الجامع: ٣٠٨)

وكان بعض السلف يقول: **" لولا مصائب الدنيا لوردنا القيامة مفاليس ".**

---

[١]- الوصب: الوجع والألم.
[٢]- النصب: التعب.
[٣]- هكذا ضبطه القاضي وغيره وضبطه (يَهُمَه) بفتح الياء وضم الهاء أي يغمه وكلاهما في الصحيح

وأخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" مثل المؤمن كمثل الخامة[1] من الزرع من حيث أتتها الريح كفأتها، فإذا اعتدلت تكفأ بالبلاء، والفاجر كالأرزة صماء معتدلة حتى يقصمها الله إذا شاء".

وعند البخاري أيضا من حديث عبد الله بن كعب عن أبيه ﷺ عن النبي ﷺ قال: **" مثل المؤمن كالخامة من الزرع تُفيؤها[2] الريح مرة وتعدلها مرة، ومثل المنافق كالأرزة[3] لا تزال حتى يكون انجعافها[4] مرة واحدة".**

ومعنى الحديث: أن المؤمن حيث جاءه أمر الله انصاع له وأطاع، فإن وقع له خير فرح به وشكر، وإن وقع مكروه صبر ورجا فيه الخير والآجر إذا اندفع عنه اعتدل شاكراً.

والكافر لا يتفقد الله باختياره، بل يحصل له التيسير في الدنيا ليتعسر عليه الحال في الميعاد، حتى إذا أراد الله إهلاكه قصمه، فيكون موته أشد عذاباً عليه، وأكثر ألماً في خروج نفسه

وقيل: المعني أن المؤمن يتلقى الأعراض الواقعة عليه لضعف حظه في الدنيا، فهو كأوائل الزرع شديد الميلان لضعف ساقه والكافر بخلاف ذلك،

وقال النووي . رحمه الله .: **قال العلماء:**" معني الحديث أن المؤمن كثير الآلام في بدنه أو أهله أو ماله، وذلك مكفر لسيئاته، ورافع لدرجاته. وأما الكافر فقليلها، وإن وقع به شيء لم يكفر شيئاً من سيئاته، بل يأتي بها يوم القيامة كاملة" (شرح صحيح مسلم: ١٥٨/١٧)

كما قال تعالي: ﴿ مَن كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لَا يُبْخَسُونَ ﴿١٥﴾ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ (هود: ١٥-١٦)

فالنبي ﷺ قال كما في صحيح مسلم: **"وأما الكافر فيطعم بحسنات ما عمل بها لله في الدنيا، حتى إذا أفضى إلى الآخرة لم تكن له حسنة يُجزى بها".**

فهؤلاء جازاهم الله أجور أعمالهم، فأعطاهم في الدنيا من الصحة والأمن والرزق والأولاد، ولم ينقصهم شيئاً من أجورهم لكن في الآخرة ليس لهم إلا النار.

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية . رحمه الله . كما في" الحسنة والسيئة صـ ٣٢٧: " وما يصيب الإنسان إن كان يسرُّه فهو نعمة بينة، وإن كان يسوؤه فهو نعمة من جهة أنه يكفر خطاياه ويثاب بالصبر عليه، ومن جهة أن فيه حكمة ورحمة لا يعلمها ﴿ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ (البقرة: ٢١٦)

وقد قال في الحديث: **"والله لا يقضي الله للمؤمن قضاء إلا كان خيراً له، إن أصابته سراء شكر، فكان خيراً له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيراً له".** أهـ (أخرجه الإمام مسلم من حديث صهيب ﷺ)

---

[1] ـ قال الخليل: **الخامة**: الزرع أول ما ينبت على ساق واحد. وقيل: هي القصبة اللينة من الزرع (شرح مسلم)
[2] ـ تفيؤها: تميلها أو ترقدها.
[3] ـ **الأرزة**: شجر بالشام يقال لثمره الصنوبر، وقيل شجر صلب معتدل لا يحركه هبوب الرياح.
[4] ـ انجعافها: أي انقلاعها أو انكسارها من وسطها أو أسفلها.

وقال ابن القيم -رحمه الله-:

" من تمام رحمة أرحم الراحمين تسليط أنواع البلاء على العبد، فإنه أعلم بمصلحته، فابتلاؤه له وامتحانه ومنعه من كثير من أغراضه وشهواته . من رحمته به، ولكن العبد لجهله وظلمه يتهم ربه بابتلائه، ولا يعلم إحسانه إليه بابتلائه وامتحانه. فهذا من تمام رحمته به، لا من بخله عليه، كيف؟! وهو الجواد الماجد، الذي له الجواد كله، وجود جميع الخلائق في جنب جوده أقل من ذرة في جبال الدنيا ورمالها.

ومن رحمته . سبحانه . بعباده أن نغص عليهم الدنيا وكدرها، لئلا يسكنوا إليها ولا يطمئنوا إليها ويرغبوا في النعيم المقيم في داره وجواره، فساقهم إلى ذلك بسياط الابتلاء والامتحان، فمنعهم ليعطيهم، وابتلاهم ليعافيهم، وأماتهم ليحييهم" (إغاثة اللهفان: ١٧٤/٢)

وقال أيضا : " الرب ينعم على عبده بابتلائه، ويعطيه بحرمانه، ويصحه بسقمه، فلا يستوحش عبده من حالة تسوؤه أصلاً، إلا إذا كانت تغضبه عليه وتبعده منه" (عدة الصابرين صـ ٧١)

وهذا الابتلاء كما جعله الله سبباً لمحو سيئات المؤمن، فهو كذلك سبب لكتب الحسنات ورفع في الدرجات.

فقد أخرج الطبراني في الأوسط والحاكم عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" ما ضرب على مؤمن عرق قط إلا حط الله به عنه خطيئة، وكتب له حسنة، ورفع له درجة".

(قال الحافظ بن حجر في الفتح:١٠٥/٣: سنده جيد)

وأخرج ابن أبي الدنيا في كتاب" المرض والكفارات" بسند صحيح عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" صُدَاعُ الْمُؤْمِنِ، أو شَوْكَةٌ يَشَاكُهَا، أو شَيْءٌ يُؤْذِيهِ، يَرْفَعُهُ اللَّهُ بِهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ دَرَجَةً، وَيُكَفِّرُ بِهَا عَنْهُ ذُنُوبَهُ".**

وأخرج الإمام مسلم عن عائشة- رضي الله عنها- قالت: قال رسول الله ﷺ: **"لا يصيب المؤمن شوكة فما فوقها؛ إلا نقص الله بها من خطيئته"** ***وفي رواية:*** **"إلا رفعه الله بها درجة، وحط الله عنه بها خطيئة".**

وعند مسلم أيضا **"مَا يُصِيبُ الْمُؤْمِنَ مِنْ شَوْكَةٍ فَمَا فَوْقَهَا إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ بِهَا دَرَجَةً، أو حَطَّ عَنْهُ بِهَا خَطِيئَةً".**

- وأخرج الإمام أحمد وابن حبان عن عائشة- رضي الله عنها- أن رسول الله ﷺ:

طرقه وجع فجعل يشتكي ويتقلب على فراشه، فقالت له عائشة: لو صنع هذا بعضنا لوجدت عليه؟ فقال النبي ﷺ:" إن الصالحين يشدد عليهم، وإنه لا يصيب مؤمناً نكبة من شوكة فما فوق ذلك إلا حطت عنه بها خطيئة، ورفع له بها درجة". (الصحيحة: ١٦١٠)(صحيح الجامع: ١٦٦٠)

٢٨ - أهل الإيمان يشكرون في حال السراء، ويصبرون في حال الضراء

فأهل الإيمان إذا وقع عليهم البلاء فإنهم يصبرون لعلمهم أن هذا بقدر الله تعالى

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِي كِتَابٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَا إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (٢٢) لِّكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ﴾ (الحديد:٢٢-٢٣)

والمؤمنون يعلمون أن الله ﷻ له حكمة في قضائه وقدره وهذا يحملهم على الرضى والتسليم

قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِن بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (التغابن: ١١)

قال علقمة- رحمه الله-: "هي المصيبة تصيب العبد فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم"

فالإيمان يسلي أصحابه عن المصائب والمكاره التي هم عرضة له في أي وقت، ويعلمون أن الله تعالى ابتلاهم ليمتحن صبرهم ويجزيهم عليه.

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (الزمر:١٠)

وفي صحيح مسلم من حديث أبي يحيى صهيب بن سنان ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

" عجبا لأمر المؤمن إن أمره كله خير وليس ذلك لأحد إلا للمؤمن إن أصابته سراء شكر، فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا له ".

والشكر والصبر هما جماع كل خير، فالمؤمن مغتنم للخيرات في كل أوقاته، رابح في كل حالاته، ويجتمع له عند النعم والسراء نعمتان: نعمة حصول المحبوب، ونعمة التوفيق للشكر الذي هو أعلى من ذلك، وبذلك تتم عليه النعمة ويجتمع له عند حصو الضراء ثلاث نِعم: نعمة تكفير السيئات ونعمة حصول مرتبة الصبر التي هي أعلى من ذلك ونعمة سهولة الضراء عليه؛ لأنه متى عرف حصول الأجر والثواب والتمرن على الصبر هانت عليه المصيبة. (انظر التوضيح والبيان لشجرة الإيمان للشيخ السعدي رحمه الله صـ٧١-٨٨)

٢٩- أهل الإيمان هم أولياء الرحمن يخرجهم من الظلمات الى النور:

قال جل وعلا: ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة ٢٥٧)

وتأمل – رحمك الله – في إفراده لكلمة النور وجمعه للظلمات.

يقول ابن القيم- رحمه الله- في" بدائع الفوائد: ١/ ١١٩": "ولما كانت الظلمة بمنزلة طرق الباطل، والنور بمنزلة طريق الحق بل هما، أفرد النور وجمعت الظلمات، وعلى هذا جاء **قوله:** ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُمْ مِنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾ (البقرة: ٢٥٧) فوحد ولي الذين آمنوا وهو الله الواحد الأحد، وجمع الذين كفروا لتعددهم وكثرتهم، وجمع الظلمات وهي طرق الضلال والغي وكثرتها واختلافها، ووحد النور وهو دينه الحق وطريقه المستقيم الذي لا طريق إليه سواه". أهـ

لقد سبق هذه الآية في سورة البقرة قول الحق تبارك وتعالى: ﴿ لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ (البقرة: ٢٥٦)

فذكر في هذه الآية الأساس، ثم ثنى بالثمرة، فأخبر تعالى أن الذين آمنوا بالله وصدقوا إيمانهم بالقيام بواجبات الإيمان، وترك كل ما ينافيه، ولأنه وليهم يتولاهم بولايته الخاصة، ويتولى تربيتهم فيخرجهم من ظلمات الجهل والكفر والمعاصي والغفلة إلى نور العلم واليقين والإيمان والطاعة والإقبال الكامل على ربهم، وينور قلوبهم بما يقذفه فيها من نور الوحي والإيمان.

٣٠- أهل الإيمان يفرحون بالطاعة ويحزنون ويتألمون لفعل المعصية:

فقد أخرج الإمام أحمد وابن حبان والطبراني في الكبير عن أبي أمامة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ

" إذا سرتك حسنتك، وساءتك سيئتك فأنت مؤمن ". (الصحيحة: ٥٥٠) (صحيح الجامع: ٦٠٠)

وفي رواية **" .... ألا ومن كان منكم تسوؤه سيئته وتسره حسنته فهو مؤمن "**

فالمؤمن يظل على طاعة الله حتى تصبح الطاعة له خُلقا دائما، وحالة مستمرة، وظلالاً مباركة وفي المقابل ينفر من المعصية ويكرهها، ولا يطيق لها ممارسة ولا سماعاً، إنه يخرجها من قلبه وتصوره وفكره وشعوره وخياله وكيانه. ثم يخرجها من حياته ودنياه وواقعه وممارساته. فهذا حال المؤمن يحب الطاعة ويستلذها، ويكره المعصية ويستقبحها، **ويصدق عليه قول الحق سبحانه وتعالى:** ﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ اللَّهِ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ ﴾

(الحجرات:٧)

٣١- أهل الإيمان يثبتهم الله على الحق في الدنيا والآخرة:

في حديث رواه البخاري"...أن هرقل سأل أبا سفيان بن حرب في مدة هدنة النبي ﷺ مع قريش: أيرتد أحدٌ منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه؟ قال: لا. قال: وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب....".

قال تعالى: ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾

(إبراهيم:٢٧)

نقل ابن كثير في تفسيره ٢/٥٥٢ عن طاووس- رحمه الله- أنه قال:

" **وقوله تعالى:** ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللَّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ﴾ "

قال: لا إله إلا الله " وفي الآخرة " المسائلة في القبر، وقال قتادة أما الحياة الدنيا فيثبتهم بالخير والعمل الصالح " وفي الآخرة " في القبر وكذا روي عن غير واحد من السلف.

كما جاء عند البخاري عن البراء بن عازب ﷺ أن رسول الله ﷺ قال:" إذا المؤمن أُتِيَ (أي في قبره) ثم شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله فذلك قوله ﴿يُثَبِّتُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ .أهـ

وأخرج البخاري ومسلم من حديث أسماء رضي الله عنها قالت:

" خسفت الشمس على عهد رسول الله ﷺ فدخلتُ على عائشة وهي تصلي، فقلتُ: ما شأن الناس يصلون؟ فأشارت برأسها إلى السماء، فقلت " آية؟ قالت: نعم، فأطال رسول الله القيام جدا حتى تجلاني الغشي[١]، فأخذت قربة من ماء إلى جنبي فجعلت أصب على رأسي أو على وجهي من الماء . قالت" فانصرف رسول الله ﷺ وقد تجلت الشمس . فخطب رسول الله ﷺ الناس. فحمد الله وأثنى عليه ثم قال " أما بعد ما من شيء لم أكن رأيته إلى قد رأيته في مقامي هذا. حتى الجنة والنار. وإنه قد أوحي إليّ أنكم تُفتنون في القبور قريبا – أو مثل – فتنة المسيح الدجال لا أدري أي ذلك قالت أسماء – فيؤتي أحدكم فيُقال: ما علمك بهذا الرجل؟ فأما المؤمن أو الموقن فيقول: هو محمد هو رسول الله، جاءنا بالبينات والهدى فأجبنا وأطعنا. ثلاث مرارٍ، فيقال له: نم. قد كنا نعلم أنك لتومن به فنم صالحا، وأما المنافق أو المرتاب فيقول: لا أدري سمعت الناس يقولون شئيا فقلت"

[١] الغشي "طرف من الاغماء، تجلاني الغشي أي أصابني طرف من الاغماء وعلاني مرض قريب من الاغماء لطول الوقوف

وأخرج الإمام أحمد عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال:

شهدت مع رسول الله ﷺ جنازة فقال رسول الله ﷺ " يا أيها الناس إن هذه الأمة تبتلى في قبورها فإذا دُفن الانسان فتفرق عنه أصحابه جاءه ملكٌ في يده مطراق، فأقعده وقال: ما تقول في هذا الرجل؟ فإن كان مؤمنا قال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا عبده ورسوله، فيقول صدقت ثم يُفتح له باب إلى النار فيقول: هذا كان منزلك لو كفرت بربك فأما إذا آمنت فهذا منزلك فيفتح له باب إلى الجنة فيريد أن ينهض إليه فيقول له: اسكن ويفسح له في قبره، وإن كان كافراً أو منافقًا، يقول له: ما تقول في هذا الرجل؟ فيقول: لا أدري سمعتُ الناس يقولون شيئا فقلت، فيقول: لا دريت ولا تليت ولا اهتديت، ثم يفتح له باب إلى الجنة، فيقول: هذا منزلك لو آمنت بربك فأما إذ كفرت فإن الله عز وجل أبدلك به هذا، ويفتح له باب إلى النار، ثم يقمعه قمعة بالمطراق يسمعها خلق الله كلهم إلا الثقلين، " فقال بعض القوم: يا رسول الله ما أحد يقوم عليه ملك في يده مطراق إلا هبل[1] عند ذلك . فقال رسول الله ﷺ: ﴿يُثَبِّتُ اللّهُ الَّذِينَ آمَنُواْ بِالْقَوْلِ الثَّابِتِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الآخِرَةِ وَيُضِلُّ اللّهُ الظَّالِمِينَ وَيَفْعَلُ اللّهُ مَا يَشَاءُ﴾ (إبراهيم:٢٧)

(قال ابن كثير – رحمه الله– في" تفسيره ٢/٥٥٢": اسناده حسن لا بأس به)

[1]- هبل: فقط عقله

٣٢- أهل الإيمان لهم البشرى في الحياة الدنيا وفي الآخرة:

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة:٩٧)

وقال تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (يونس: ٦٢-٦٤)

وقال تعالى: ﴿نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنْفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (البقرة: ٢٢٣)

وقال تعالى: ﴿التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ السَّائِحُونَ الرَّاكِعُونَ السَّاجِدُونَ الْآمِرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّاهُونَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَالْحَافِظُونَ لِحُدُودِ اللَّهِ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (التوبة: ١١٢)

وقال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى وَأَخِيهِ أَنْ تَبَوَّآ لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (يونس: ٨٧)

وقال تعالى: ﴿وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (الصف: ١٣).

وأطلق الله تعالى البشرى في هذه الآيات الكريمات للإخبار بأنهم يبشرون بكل خير في الدنيا والآخرة.

أما مبشرات الدنيا فكثيرة ومنها:

١- الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو ترى له

فقد أخرج البخاري من حديث أبي هريرة ﷺقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:

" لم يبق من النبوة إلى المبشرات " قالوا وما المبشرات؟ قال: " الرؤيا الصالحة "

وقال النبي ﷺ في تفسير قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴿٦٣﴾ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾ (يونس:٦٣-٦٤) **هي الرؤيا الصالحة يراها المؤمن أو تُرى له** " (رواه الترمذي)

٢- ثناء الخلق عليهم ومحبتهم لهم

فقد أخرج الإمام مسلم عن أبي ذر ﷺعنه قال: **قيل لرسول الله ﷺ: أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه قال: " تلك عاجل بشرى المؤمن "** ***وفي رواية عند مسلم كذلك*** **" ويحبه الناس "**

ولذلك علماء أهل السنة هم أوفر الناس نصيبا من هذه البشرى، وهذا يدل على أنهم أسعد الناس حالاً في الآخرة.

٣- أهل الإيمان لهم قدم صدق عند ربهم

قال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِندَ رَبِّهِمْ﴾ (يونس:٢)

قال ابن كثير- رحمه الله- في تفسيره ١٤٢/١ في معنى قوله تعالى " قدم صدق ":

واختلفوا فيه فقال على ابن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما " قدم صدق " سبقت لهم السعادة في الذكر الأول، وقال العوفي عن ابن عباس أيضا رضي الله عنهما: يقول أجرا حسنا بما قدموا، وكذا قال الضحاك والربيع بن أنس.. وقال مجاهد رحمة الله " قدم صدق " الأعمال الصالحة صلاتهم وصومهم وصدقتهم وتسبيحهم قال ومحمد ﷺ يشفع لهم. أهـ

٤- عند خروج الروح تبشرهم الملائكة بالجنة وتطمئنهم

فالمؤمن أحوج ما يكون إلى البشرى عند مفارقة الحياة الدنيا واقباله على دار الجزاء والحساب.

قال تعالى: "﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ (فصلت: ٣٠-٣٢)

فلا تخرج روح المؤمن من جسده حتى يبشر برحمة الله وجنته، **وقوله تعالى:** ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي آمنوا بالله إيمانا صادقا، وأخلصوا العمل له، ثم استقاموا على توحيد الله وطاعته، وثبتوا على ذلك حتى الممات **ثم قال:** ﴿تَتَنَزَّلُ عليهمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا﴾ أي تتنزل عليهم ملائكة الرحمة عند الموت وتقول لهم: لا تخافوا بما تقدمون عليه من أحوال القيامة وأمور الآخرة " ولا تحزنوا" على ما خلفتموه من أمر الدنيا من ولد وأهل ومال فنحن نخلفكم فيه .﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ أي ابشروا بجنة الخلد التي وعدكم الله بها على لسان الرسل.

قال زيد بن أسلم- رحمه الله: "يبشرونه عند موته، وفي قبره، وحين البعث ﴿ نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ ﴾أي" تقول الملائكة للمؤمنين عند الاحتضار: نحن أولياؤكم أي: قرنائكم في الحياة الدنيا نسددكم، ونوفقكم، ونحفظكم بأمر الله، وكذلك نكون معكم في الآخرة نؤنس وحشتكم في القبور وعند النفخ في الصور، ونؤمنكم يوم البعث والنشور، ونجاوز بكم الصراط المستقيم، ونوصلكم إلى جنات النعيم ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ ﴾ أي في الجنة من جميع ما تختارون مما تشتهيه النفوس وتقر به العيون. ﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾ أي مهما طلبتم وجدتم، وحضر لكم ما اخترتم ﴿نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ﴾ أي ضيافة وعطاء، وإنعاماً من غفور لذنوبكم، رحيم رؤوف حيث غفر وستر ورحم ولطف. (انظر مختصر تفسير ابن كثير ٢٩٨/٣)

أما مبشرات الآخرة فكثيرة أيضا ومنها:

١- بشارته وهو على أعناق المشيعين

فقد أخرج البخاري من حديث أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: **" إذا وضعت الجنازة واحتملها الرجال على أعناقهم فإن كانت صالحة قالت: قدموني قدموني، وإن كانت غير صالحة قالت: يا ويلها أين يذهبون بها؟ يسمع صوتها كل شيء إلا الانسان ولو سمعه لصعق ".**

وتقول الروح " قدموني قدموني" لما ترى من المبشرات وشوقا إلى الجنة والرحمة.

٢- تبشير الملائكة له في قبره:

فإذا صار المؤمن في قبره، وقبره روضة من رياض الجنة أُلبس من ثياب الجنة، وفرش قبره بفراش الجنة، وفتح له باب إلى الجنة يأتيه من ريحها وطيبها، وعرض عليه مقعدة في الجنة، عند ذلك لا يصبر على ما هو فيه مع أنه في روضة من رياض الجنة إلا أن النعيم الذي ينتظره والذي قد بشر به أعظم من النعيم الذي هو فيه فيشتاق إلى النعيم الأكبر فيقول: رب أقم الساعة رب أقم الساعة حتى أرجع إلى أهلي ومالي.

ثم تقول الملائكة له **" نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه "**. (رواه الترمذي وابن حبان)

وفي رواية عند البخاري ومسلم **" فنم صالحا "**

٣- الملائكة تكون في استقبالهم يوم القيامة وترحب بهم

قال تعالى: ﴿لَا يَحْزُنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ وَتَتَلَقَّاهُمُ الْمَلَائِكَةُ هَذَا يَوْمُكُمُ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ﴾ (الأنبياء: ١٠٣)

٤- تبشير الملائكة لهم بدخول الجنة

قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُمْ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ (الحديد: ١٢)

وقال تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأُتُوا بِهِ مُتَشَابِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ (البقرة: ٢٥)

فإذا دخلوا الجنة دخلت عليهم الملائكة من كل باب تبشرهم بالخلود في الجنة لأنهم لا يتحملون أن يفارقوا النعيم الذي وصلوا إليه برحمة الله وكرامته. ﴿وَالْمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ (الرعد:٢٣-٢٤)

٣٣- أهل الإيمان يعطهم الرحمن نورا يمشون به في حياتهم وينفعهم بعد مماتهم:

يقول ابن القيم في بدائع الفوائد (٢/٤٤٦):

فالإيمان كله نور، ومآله نور ومستقره في القلب المضيء المستنير المقترن بأهل الأرواح المستنيرة. أهـ

فأهل الإيمان يمشون في حياتهم بنور العلم والإيمان فيفرقون بهذا النور بين الحق والباطل الهدى والضلال والبدعة والسنة **قال الله تعالى:** ﴿أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (الأنعام:١٢٢)

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَآمِنُوا بِرَسُولِهِ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَجْعَلْ لَكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ (الحديد: ٢٨)

وقال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (الأنفال: ٢٩)

وقد فسر العلماء هذا الفرقان بالنور الذي يجعله الله عزو وجل في قلب المؤمن، يفرق به بين الحق والباطل، والبدعة والسنة، والهدى والضلال، فالمؤمن حي القلب مستنيره، والكافر ميت القلب مظلمه، وذلك لأن المؤمن آمن بالشرع، والشرع هو الروح وهو النور.

كما قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا نَهْدِي بِهِ مَنْ نَشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

فمن استجاب للشرع أحيا الله قلبه وأضاءه بنور الإيمان، وهذا النور يضئ للمؤمن الطريق، ومن المؤمنين من يحسن حمل هذا النور فيضئ لغيره ويهديه هداية الإرشاد والبيان **كما قال تعالى:** ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ (الشورى: ٥٢).

أما عن يوم القيامة فإن مصادر النور الطبيعية تختفي، فالشمس تكور والنجوم تنكدر، **كما قال تعالى** ﴿إِذَا الشَّمْسُ كُوِّرَتْ ﴿١﴾ وَإِذَا النُّجُومُ انْكَدَرَتْ﴾ (التكوير: ١-٢) ويبعث الله الخلق في ظلمة شديدة ظلمات بعضها فوق بعض، إذا أخرج يده لم يكد يراها، ***ويدل على هذا أيضا ما جاء في صحيح مسلم من حديث عائشة رضي الله عنها قالت:*** **سئل رسول الله صلى الله عليه وسلم: أين يكون الناس يوم تبدل الأرض غير الأرض والسماوات؟ فقال: هم في الظلمة دون الجسر ".**

وفي هذا اليوم العصيب المظلم يعطي الله تعالى نوراً لأهل الإيمان، وهم الذين استضاءوا بنور الوحي في الدنيا، فيصير هذا النور يوم القيامة نورا حيا ظاهرا يراه المؤمن والمنافق **كما قال تعالى:**

﴿ يَوْمَ تَرَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ يَسْعَى نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِم بُشْرَاكُمُ الْيَوْمَ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ ﴾ (الحديد:١٢-١٣)

والذين حُرموا هذا النور في الدنيا وصاروا يتخبطون في الظلمات، فإنهم يحرمون هذا النور في الآخرة، **كما قال تعالى:** ﴿ وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ ﴾ (النور: ٤٠)

تنبيه:

أنوار المؤمنين تتفاوت يوم القيامة بحسب أعمالهم وايمانهم:

أخرج البيهقي بسنده عن مسروق عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: **يجمع الله الناس يوم القيامة إلى أن قال: فيعطون نورهم على قدر أعمالهم، فمنهم من يُعطى نوره مثل الجبل بين يديه، ومنهم من يعطي نوره فوق ذلك، ومنهم من يعطى نوره مثل النخلة بيمينه، ومنهم من يعطي دون ذلك بيمينه حتى يكون آخر من يعطى نوره في إبهام قدمه، يضئ مرة ويطفأ أخرى، إذا أضاء قدَّم قدمه، وإذاُ طفاء قام، قال: فيمر ويمرون على الصراط، والصراط كحد السيف دحض مزلة، ويقال لهم: امضوا على قدر نوركم، فمنهم من يمر كانقضاض الكوكب، ومنهم من يمر كالريح، ومنهم من يمر كالطرف، ومنهم من يمر كشد الرجل[1] يرمل رملا، فيمرون على قدر أعمالهم، حتى يمر الذي نوره على إبهام قدمه، تخر يد، وتعلق يد، وتخر رجل وتعلق رجل، وتصيب جوانبه النار، فيخلصون فإذا خلصوا قالوا: الحمد لله الذي نجانا منك بعد أن أرانا لقد أعطانا مالم يعط أحد "** (رواه الحاكم وصححه الألباني في تخريجه شرح الطحاوية)

يتبين لنا من الحديث السابق أن نور المؤمن يوم القيامة يكون بقدر عمله الصالح، وكلما ازداد الانسان من الأعمال الصالحة ازداد نوره حتى يكون كالجبل، وكلما ازداد من النور زادت سرعة المرور على الصراط وكلما قلت الأعمال الصالحة قل النور، وإذا قل النور قلت سرعة المرور على الصراط، وربما تعرض للّفحات، فعلينا أن نكثر من الطاعات فهي سبيل النجاة من كرب المرور على الصراط، لأن هناك من يمر كانقضاض الكوكب لا يرى ليهيبها، ولا يسمع حسيسها، ولا يشعر بحرها، بخلاف من أُعطى نوراً على قدر إبهامه فإنه تقل سرعته، فيشعر بحرها، ويُبصر لهيبها، وربما أصابته بلفحها .

[1]-**شدة الرجل:** الشد هو العدو البالغ والجري

٣٤- أهل الإيمان يشفعون في أصحابهم الذين يدخلون النار حتى يخرجوهم منها:

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن أناسا في زمن رسول الله ﷺ قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال رسول الله ﷺ " نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة صحوا ليس معها سحاب؟ وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر صحوا ليس فيها سحاب؟ قالوا: لا. يا رسول الله، قال: ما تُضارون في رؤية الله- تبارك وتعالى- يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما [١] ، إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن: لتتبع كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى أحد كان يعبد غير الله سبحانه من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يتبق إلا من كان يعبد الله من بر وفاجر وغُبَّرِ أهل الكتاب [٢] ، فيدعي اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله فيقال كذبتم ما اتخذا الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ قالوا: عطشنا يا ربنا فاسقنا، فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب [٣] يحطم بعضها بعضا، فيتساقطون في النار، ثم يدعي النصارى فيقال لهم: ما كنتم تعبدون ؟ قالوا كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم كذبتم ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون ؟ فيقولون عطشنا يا ربنا فاسقنا، قال فيشار إليهم ألا تردون؟ فيحشرون إلى جهنم كأنها سراب يحطم بعضها بعضا [٤]. فيتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله تعالى من بر وفاجر أتاهم رب العالمين سبحانه وتعالى في أدنى صورة من التي رأوه فيها قال: فما تنتظرون؟ تتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: يا ربنا فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم [٥] ولم نصاحبهم، فيقول: أنا ربكم فيقولون: نعوذ بالله منك لا نشرك بالله شيئا – مرتين أو ثلاثا – حتى إن بعضهم ليكاد أن ينقلب [٦] ، فيقول: هل بينكم وبينه آية فتعرفونه بها ؟ فيقولون: نعم فيكشف عن ساق [٧] ، فلا يبقى من كان يسجد لله من تلقاء نفسه إلا أُذن له بالسجود، ولا يبقى من كان يسجد اتقاء ورياء إلا جعل الله ظهره طبقة واحدة [٨] ، كلما أراد أن يسجد خر على قفاه ثم يرفعون رؤوسهم وقد تحول في صورته التي رأوه فيها أول مرة، فقال: أنا ربكم، فيقولون: أنت ربنا، ثم يضرب الجسر [٩] على جهنم وتحل الشفاعة، ويقولون: اللهم سلم سلم، قيل يا رسول الله وما الجسر ؟ قال: " دحض مزلة [١٠] ، فيه خطاطيف وكلاليب وحسك [١١] . تكون بنجد فيها شويكة يقال لها السعدان، فيمر المؤمن كطرف العين وكالبرق وكالريح وكالطير وكأجاويد [١٢] الخيل والركاب، فناج مُسلَّم،

١- ما تضارون في رؤية الله تبارك وتعالى يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما معناه لا تضارون أصلا كما لا تضارون في رؤيتهما أصلا

٢- وغبر أهل الكتاب: معناه بقاياهم. جمع غابر

٣ كأنها سراب: السراب ما يتراءى للناس في الأرض القفر والقاع المستوى وسط النهار في الحر الشديد لا معا مثل الماء يحسبه الظمآن ماء حتى إذا جاءه لم يجده شيئا

٤- يحطم بعضها بعضا: معناه لشدة اتقادها وتلاطم أمواج لهبها والحطم الكسر والإهلاك، والحطمة اسم من أسماء النار لكونها تحطم ما يلقى فيها.

٥- فارقنا الناس في الدنيا أفقر ما كنا إليهم: معنى قولهم: اتضرع إلى الله تعالى في كشف هذه الشدة عنهم وأنهم لزموا طاعته سبحانه وتعالى وفارقوا في الدنيا الناس الذين زاغوا عن طاعته سبحانه من قراباتهم وغيرهم ممن كانوا يحتاجون في معايشهم ومصالح دنياهم إلى معاشرتهم للارتقاء بهم.

٦- ليكاد أن ينقلب: هكذا هو في الأصل بإثبات أن واثباتها مع كاد لغة كما أن حذفها مع عسى لغة، ومعنى ينقلب أي يرجع عن الصواب للامتحان الشديد الذي جرى.

٧- فيكشف عن ساق: ضبط يكشف فتح الياء وضمها. وهما صحيحان

٨- ظهره طبقة واحدة: قال الهروي وغيره: الطبق فقار الظهر، أي صار فقارة واحدة كالصحيفة، فلا يقدر على السجود لله تعالى.

٩- ثم يضرب الجسر على جهنم وتحل الشفاعة: الجسر بفتح الجيم وكسرها، لغتان مشهورتان: وهو الصراط، ومعنى تحل الشفاعة: بكسر الحاء، وقيل بضمها: أي تقع ويؤذن فيها

١٠- الدحض والمزلة بمعنى واحد وهو الموضع الذي تزل فيه الأقدام ولا تستقر ومنه دحضت الشمس أي مالت وحجة داحضة أي لا ثبات لها

١١- خطاطيف وكلاليب وحسك: أما الخطاطيف فجمع خطاف والكلاليب بمعناه وأما الحسك فهو صلب من حديد

١٢- الأجاويد جمع أجواد وهو جمع جواد وهو الجيد الجرد من المطي، والركاب أي الأبل واحدتها راحلة من غير لفظها فهو عطف على الخيل والخيل جمع فرس من غير لفظه

ومخدوش مرسل، ومكدوس في نار جهنم [١] ، حتى إذا خلص المؤمنون من النار، فوالدي نفسي بيده ما منكم أحد بأشد مناشدة لله في استقصاء الحق [٢] من المؤمنين لله يوم القيامة لإخوانهم الذين في النار، يقولون: ربنا كانوا يصومون معنا ويصلون ويحجون، فيقال: أخرجوا من عرفتم، فتحرم صورهم على النار، فيخرجون خلقا كثيرا قد أخذت النار إلى نصف ساقيه وإلى ركبتيه، ثم يقولون: ربنا ما بقي فيها من أحد ممن أمرتنا به، فيقول: ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال دينار من خير [٣] فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون ربنا لم نذر فيها أحدا ممن أمرتنا، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال نصف دينار من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا، ثم يقولون: ربنا لم نذر فيها مما أمرتنا أحدا، ثم يقول ارجعوا فمن وجدتم في قلبه مثقال ذرة من خير فأخرجوه، فيخرجون خلقا كثيرا ثم يقولون ربنا لم نذر فيها خيرا [٤]."

وكان أبي سعيد الخدري ﷺ يقول: إن لم تصدقوني بهذا الحديث فاقرئوا إن شئتم ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِن تَكُ حَسَنَةً يُضَاعِفْهَا وَيُؤْتِ مِن لَّدُنْهُ أَجْراً عَظِيماً ﴾ (النساء: ٤٠)

فيقول الله ﷻ: " شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ولم يبق إلا أرحم الراحمين فيقبض قبضة [٥] من النار فيخرج منها قوما لم يعملوا خيرا قط، قد عادوا حمما [٦] ، فيلقيهم في نهر من أفواه الجنة [٧] يقال له نهر الحياة، فيخرجون كما تخرج الحية من حميل السيل [٨] ، ألا ترونها تكون إلى الحجر أو إلى الشجر ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر [٩]، وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض ؟

فقالوا يا رسول الله كأنك كنت ترعى بالبادية، قال: فيخرجون كاللؤلؤ في رقابهم الخواتم [١٠] يعرفهم أهل الجنة، هؤلاء عتقاء الله [١١] الذين أدخلهم الجنة بغير عمل عملوه ولا خير قدموه ثم يقول ادخلوا الجنة فما رأيتموه فهو لكم فيقولون: ربنا أعطيتنا ما لم تعط أحدا من العالمين، فيقول: لكم عندي أفضل من هذا، فيقولون: يا ربنا أي شيء أفضل من هذا؟ فيقول: رضاي فلا أسخط عليكم بعده أبدا ".

---

[١]- فناج مسلم ومخدوش مرسل ومكدوس في نار جهنم: معناه أنهم ثلاثة أقسام: قسم يسلم فلا يناله شيء أصلا وقسم يخدش ثم يرسل فيخلص وقسم يكدس ويلقى فيسقط في نار جهنم، قال في النهاية وتكدس الإنسان إذا دفع من ورائه فسقط، ويروى بالشين المعجمة من الكدش وهو السوق الشديد والكدش: الطرد والجرح أيضا.

[٢]-**في استقصاء الحق**: أي تحصيله من خصمه والمعتدى عليه

[٣]- من خير: قال القاضي عياض رحمه الله: قيل معنى الخير هنا اليقين، قال والصحيح أن معناه شيء زائد على مجرد الإيمان لأن مجرد الإيمان الذي هو التصديق لا يتجزأ، وإنما يكون هذا التجزؤ لشيء زائد عليه من عمل صالح، أو ذكر خفي، أو عمل من أعمال القلب من شفقة على مسكين أو خوف من الله تعالى ونية صادقة، وقد **قال النووي**: إن التصديق يزيد ووافقه غيره من علماء أهل السنة، كما في شرح النووي وشرح الطحاوية.

[٤]- لم نذر فيها خير: هكذا هو خير بإسكان الياء أي صاحب الخير

[٥]- فيقبض قبضة من النار: معناه يجمع جمعة

[٦]- قد عادوا حمما: معنى عادوا صاروا وليس بلازم في عاد أن يصير إلى حالة كان عليها قبل ذلك، بل معناه صاروا، أما الحمم فهو الفحم وواحدته حممة كحطمة.

[٧]-**في أفواه الجنة**: جمع فوهة وهو جمع سمع من العرب على غير قياس، وأفواه الأزقة والأنهار أوائلها، قال صاحب المطالع كأن المراد في الحديث مفتتح **من مسالك** قصور الجنة ومنازلها.

[٨]- الحبة في حميل السيل: الحبة بالكسر، بذور البقول وحب الرياحين قيل هو نبت في الحشيش وحميل السيل هو ما يجئ به السيل من طين أو غثاء وغيره فعيل بمعنى مفعول، فإذا اتفقت فيه حبة واستقرت على شط مجرى السيل فإنها تنبت في يوم وليلة فشبة بها سرعة عود أبدانهم وأجسامهم إليهم بعد احراق النار لها.

[٩]- ما يكون إلى الشمس أصيفر وأخيضر: وما يكون منها إلى الظل يكون أبيض، أما يكون في الموضعين الأولين فتامة ليس لها خبر معناها ما يقع وأصيفر وأخيضر مرفوعان وأما يكون أبيض فيكون فيه ناقصة وأبيض منصوب وهو خبرها.

[١٠]- **الخواتم**: جمع خاتم بفتح التاء وكسرها، قال صاحب التحرير: المراد بالخواتم هنا أشياء من ذهب أو غير ذلك تعلق في أعناقهم علامة فيعرفون بها، قال معنا ه تشبيه صفائهم وتلألئهم باللؤلؤ

[١١]- هؤلاء عتقاء الله: أي يقولون هؤلاء عتقاء الله

٣٥- أهل الإيمان يرفعهم الله- تعالى- فوق الناس درجات في الدنيا والآخرة:

قال الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١) فأهل الإيمان أعلى خلق الله درجات، وقد نالوا هذه الرفعة والمكانة العالية بإيمانهم وعلمهم ويقينهم.

يقول القرطبي -رحمه الله- في" تفسيره الجامع لأحكام القرآن:٨/٦٤٦٩"

وقوله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ وَإِذَا قِيلَ انْشُزُوا فَانْشُزُوا يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ (المجادلة: ١١) أي في الثواب في الآخرة وفي الكرامة في الدنيا، فيرفع المؤمن على من ليس بمؤمن، والعالم على من ليس بعالم، وقال عبد الله ابن مسعود ﷺ: مدح الله العلماء في هذه الآية والمعنى أنه يرفع الله الذين أوتوا العلم على الذين آمنوا ولم يؤتوا العلم "درجات" أي درجات في دينهم إذا فعلوا ما أمروا به. وقال يحيى بن يحيى عن مالك- رحمه الله-:

﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ﴾ الصحابة ﴿وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ يرفع بها العالم والطالب للحق. والعموم أوقع في المسألة، وأولى بمعنى الآية، فيرفع المؤمن بإيمانه أولاً، ثم بعمله ثانياً. أهـ

ويقول ابن القيم -رحمه الله- في" كتابه الفوائد ص١٣٨": أفضل ما اكتسبته النفوسُ وحصلته القلوبُ، ونال به العبد الرفعة في الدنيا والآخرة هو العلم والإيمان، ولهذا قرن بينهما سبحانه في قوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ﴾ (الروم: ٥٦) وقوله: ﴿يَرْفَعِ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾ (المجادلة: ١١). أهـ

وقال تعالى إشارة إلى رفعة الآخرة: ﴿زُيِّنَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَيَسْخَرُونَ مِنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ اتَّقَوْا فَوْقَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ (البقرة: ٢١٢)

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ﴾ (الأنفال:٤)

وأخرج الإمام مسلم عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ:

"إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما يتراءون الكوكب الدري [١] الغابر من الأفق [٢] من المشرق إلى المغرب، لتفاضل ما بينهم". قالوا: يا رسول الله! تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟ قال: بلى. والذي نفس محمد بيده، رجال آمنوا بالله وصدقوا المرسلين ".

١- الكوكب الدري: الكوكب العظيم المضيء.
٢- الغابر من الأفق: الذي يميل إلى جهة الغرب.

وبعد...

فهذا آخر ما تيسَّر جمعه في هذه الرسالة

وأسأل الله- تعالى- أن يكتب لها القبول، وأن يتقبَّلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومَن أعان على إخراجها ونشرها.....إنه ولي ذلك والقادر عليه.

هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمنِّي ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي

وإن وجدت العيب فسد الخللا جلّ من لا عيب فيه وعلا

فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيب

والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلّى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.

هذا والله تعالى أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك